دهب باب الحياة

الكتاب : دهب باب الحياة

الكاتب : منار حجازي

تصميم الغلاف : ريهام محمد

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

الطبعة : الأولى٢٠٢٠

رقم الإيداع: 2020/1825

الترقيم الدولي :978-977-6783-31-7

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دهب باب الحياة

رواية

تأليف

منار حجازي

السّعيد
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى الأرض والمكان والبشر والحاجات
كلِّ دهب؛ بحر وسماء وجبل ونجوم وقمر
دهب مش مكان .... دهب هي الحياة
منار

الرحلةُ
رحلة الإنسانِ الحقيقية
هي التي يكتشفُ فيها ذاتَه

واقفةً على سُور الكافتيريا على البحر مباشرةً فاردةً ذراعيها، ناظرةً إلى القمر بدرًا أشعته الفضيةُ تنسال على البحر, تشعرُ أنها تنتشرُ بداخلها

تغنِّي بصوتٍ عالٍ:

يا دنيا حِبِّي وحبي وحبي

العمر هو ..العمر هو .. الحب وبس

واسقيني واملا .. واسقيني تاني

منك ....من نور زماني

االسقيني يا قلبي ...

ومن خلفها تجلسُ الصديقاتُ على الوسائدِ الملونةِ على الأرض يغنين معها في نشازٍ واضحٍ للجميع، وفجأه تسقطُ بظهرها بالقرب منهن على كميةٍ من الوسائد الصوفية الملونة بكل ألوان الحياة الملقاة على أرضية الكافيتريا، ضاحكة ضحكة عالية، يضحكن هُنَّ أيضًا لسقوطها المفاجئ.

وفجأةً يسود الصمتُ إلا من صوتِ ارتطام الموج الخفيف بسور الكافتيريا القصير، مُحدثًا صوتًا ناعمًا جميلًا يدغدغُ الإحساسَ، حاملًا ريحًا قويةً جميلةً تحسُّه ملينًا برائحة البحر ممزوجةً بعطرٍ رائعٍ لم يُشم من قبل.

ينظرن إلى القمر القريب بشكلٍ مُلْفِتٍ، بدرٍ كبيرٍ شديدِ الإضاءة، يملأ نفوسهن بضياءٍ يسري في عروقهن فيزيدهن نشوةً وهَّاجةً، ينظرن إلى بعضهن البعض، ثم ما يلبثن أن يبدأن في وصلة ضحك بصوت عالٍ:

- هو دا طبيعي؟

- أكيد محمود حاط لنا حاجه في الشيشة!

- أنا مشربتش شيشة.

- ولا أنا.

- ولا أنا.

ضحكٌ هيستيري تتساقطُ معه الدموعُ من شدته.

- أكيد الناس اللي جنبنا كانوا بيشربو حاجة والدخان ظبطنا!

ناظرات إلى القمر من جديد:

- هو احنا فين؟

- دي الجنة أكيد!

- يعني متنا، وطلعنا الجنة كمان خلاص؟

وصلة ضحك يعقبها سؤالٌ أسكتَ الجميع

- مين ميرا دي؟؟ طلعت لنا من فين؟

- هي إنسانة زينا كده؟

- على فكرة دي طلعت لنا من البحر فعلًا، إنتي نسيتي؟

ضحك مع استغراب مع تذكر تلك اللحظه، خروج ميرا من البحر أمامهن، وتعرفهن عليها.

- تفتكرو هي جنسيتها إيه؟

- هي مسلمة ولا مسيحية ولا إيه بالظبط؟

- انتي نسيتي أول درس ولا إيه؟

رَدَدْنَ كلهن بصوتٍ واحدٍ:

- مافيش تقييم.

- ملناش دعوة بحد.

- طب يالا بينا لازم نطلع ننام، ميرا قالت ح نبدأ الساعه ٦ الصبح.

قمن جميعًا بنشاطٍ ممزوجٍ بأفكارٍ؛ ماذا سيحمل لنا الغد، وماذا ستقول لنا ميرا غدًا؟

- محمود، سيب الشيك مفتوح، إحنا لسه قاعدين كام يوم.

- تصبح علي خير.

- وانتو من أهله يا أحلى ستات شافتهم دهب من زمان، منورنا

واللـه، مسـتنيكم عـلى الفطـار، حـد عـاوز طلبـات معينـة؟

- براحتك يا محمود، اعمل لنا اللي أنت عاوزه!

ابتسـامات عـلى الوجـه، وسـعادةٌ في القلـب والنفـس لم يحْسَسْـنَها منـذ زمـنٍ طويـلٍ.

ذهب... الكنز المفقود

ذهب

أنا أرضٌ طاهرةٌ، في صحراءِ سيناءَ المباركةِ، بقعةُ أرضٍ اختصَّني مولاي وخالقي بصفاتٍ لا تنبغي لسواي، أنا أرض الأنبياء؛ إدريس وإبراهيم ويوسف وموسى وهارون وداوُد وسليمان وصالح وعيسى، أنا بقعة الأرض الوحيدة التي سمعت صوت الله

أنا كما أطلقوا عليَّ.. ذهب.

هل لون رمالي بلون الذهب؟ أم أنَّ بحري عند غروب الشمس يصير لون مياهه ذهبيًّا من شدة نقائه وصفائه؟! لا أعرف، ولكني أعرف وأعلمُ علم اليقين أني وأولادي الثلاثة؛ البحر والجبل والسماء، نملك ما لا يملكه غيرنا، وهذا ما أودُّ أن أحكيَ لكم عنه.

على مدار القرون السابقة - وإلى أن يرثني الله يوم يشاء - كنتُ وسأظل بِكْرًا، لا يلوثني أحدٌ، ولا يستطيع. يحسب القادمون إليَّ أنهم جاءوني ولا يعلمون أنني التي اخترتهم للمجيء؛ فليس هناك واطئ قدم ينزل بي إلا وقد أمرت له أنا بالمجيء.

كنت وسأظل شابةً جميلةً، لديَّ سحري وأسراري، يقع في غرامي لحظة الوصول كل آتٍ، ويتعلق بي تعلقًا فريدًا، لا أدَّعي الشطارة أو المهارة في هذا، ولكني - كما قلت - أنا هبة الله في الأرض، اختصني بخصائص لي وحدي، خصائص فريدة، وبها من الأسرار ما احتارت معه كل العقول.

وصل إلى أنَّ بعضًا من الباحثين ادَّعى أني أملكُ قوةً كهرومغناطيسيةً تنتجُ موجاتٍ من الطاقات الإيجابية التي تسيطر على كل من زارني، وتجعله في حالة من السعادة والنشوة تظل معه ولا تغادره، وادَّعوا أنَّ هناك ما يُسمَّى بـ(المريديان ترينجل) أو المكان ذي مثلث الطاقة

العـالي، وادعـوا.. وادعـوا، ولـن يصلـوا إلى أيٍّ مـن الحقائـق، فسـيظل سري معـي أنـا، ولـن يعلمـه بـشر!

يحسـبونني جـمادًا لا أفقـهُ، لا أتكلـمُ، ويتغنـون بحُسْـني وجـمال أولادي الفريد!

فهـم لا يدركـون أننـي وبسـحري أُؤثِّـرُ عـلى كل حياتهـم، فهـم قبـل حضـوري شيءٌ وبعـد ذهابهـم عنـي شيءٌ مختلـفٌ تمامًـا.

لـن أتكلـم عـن نفـسي أو عـن أولادي أكـثر مـن هـذا، ولكنـي سـأحكي لكـم بعضًـا مـن النـماذج مـن الذيـن مـروا عـليَّ، ومـا حـدث لهـم بسـببي؛ مـن عشـقني حـدَّ الجنـون، مَـنْ ارتبـطَ بي وظـلَّ يتـودد إليَّ حتـى أسـمحَ لـه بتكـرار الزيـارة، ومَـنْ رضيـتُ أنـا عنهـم وقبلـت طلبهـم بعـد عـدة اختبـارات وسـمحت لهـم بالبقـاء.

وهنـاك مـن أختصـه ببعـض خصائـصي وأمنحـه مـن أسراري وهـم قليلـون، هـم مـن يتصلـون بي اتصـالًا مبـاشرًا، وينتمـون إليَّ، هـم المقربـون إلى قلبـي ويتَّسـمون بطبائعـي، ومـن ضمـن هـؤلاء (مـيرا)؛ هـذه السـيدة التـي تحمـل الكثـير والكثـير مـن أسراري، وتتمثـل بي وأتمثـل بهـا.

حيـاة الإنسـان عـلى أرض اللـه مـا هـي إلا رحلـة قـصرت أو طالـت، مهمتـه الأساسـية فيهـا أن يكتشـف نفسـه، ويعمـل عـلى أن يقـضي هـذه الرحلـة في سـعادة واسـتمتاع، أن يحيـا عـلى الفطـرة التـي خُلـق عليهـا، يتجنـب المحرمـات ويتلـذذ بمـا أحـل اللـه لـه.

الكتـاب واضـحٌ، والتعليـمات بينـةٌ؛ لم يخلـق اللـه بنـي آدم ليعذبهـم أو ليشـقوا، مقولـةُ أنَّ الدنيـا دار ابتـلاءٍ فُـسرت لـدى الكثيريـن بخطـأ فـادحٍ أثـرت بالسـلب عـلى كل حياتهـم واختياراتهـم.

ولمـا كان اللـه يطلـب منـا، رفضنـا نحـن حمـل الأمانـة وحملهـا الإنسـانُ بـشرط أن يتفكـر، أن يعقـل، أن يبحـث. ماتـت العقـول وانشـغلت النفـوس، ولم يعـد هنـاك مـن يتفكـر ويبحـث إلا مـن رحـم ربي.

الابتلاء وكل ما ذكر في كل الكتب السماوية معناه الاختبار، والاختبار في الخير والشر، فلماذا نُقْصِرُ التفسيرَ على الشر فقط، ونبرمج عقولنا على أنَّ الدنيا دار بلاءٍ وشقاءٍ وهمٍّ ونكدٍ؟

لذلك وُكِّلْتُ -أنا دهب- أن أغيرَ فيمن وطئت قدماه أرضي، وأن أعمل على محو كل موروثاته ومعتقداته، وأن أمهِّدَ له الطرق ليعرف ماهية الرحلة، وكيفيه التعامل معها وفيها!

يجب أن يسأل كلُّ إنسانٍ نفسه سؤالين اثنين أساسيين:

- ما هي مهمتي في هذه الحياة؟

- ماذا أريد من هذه الحياة؟

عندي يجب أن يخلعَ كلُّ زائر كل الأقنعة التي يرتديها، ينقِّي نفسه، ويعود إلى الفطرة التي فُطر عليها، ينسى القبح الذي يجوب بالخارج -خارجي- ويتعايش بنفسه النقية، نفسه الخلاقة المبدعة، وسوف يكتشف الكثير.

دعوني أخبركم قليلًا عن طبيعة الحياة بي، وعلى بعض النماذج التي اخترتها لكم بعناية حتى أوضحَ لكم ما قلته سابقًا، وأعرفكم بـ(ميرا) إحدى وزيراتي، وحاملة جزء بسيط من أسراري.

إنَّ جمالَكَ الحقيقيَّ
جمالُ رُوحك
أمَّا تلك التقسيمات سوف تذبلُ يومًا
بينما الروحُ تتوهَّجُ دائمًا

ميرا

سيدةٌ في عقدها السادس من العمر, تتكلم العربية الفصحى. لا نتطرق إلى جنسيتها أو ديانتها، عاشت مدةً بالمغرب العربي ومن بعده في الهند إلى أن استقرت بدهب منذ أكثر من عشرين عامًا وقررت البقاء بها إلى آخر عمرها.

تمتلك أوتيلًا على الطراز البدوي، والذي تشتهر به أغلب فنادق دهب وخصوصًا القائمة في منطقة المصطبة والتي يطلق عليها (المشاية).

نحيلة الجسد، ذات شعر رمادي كثيف طويل يغطي نصف ظهرها، بشرتها بيضاء بها كثير من النمش، اكتسى بحمرة من جراء تعرُّضها لشمس دهب ومياه بحرها, تلبس دائمًا ملابس بيضاء فضفاضة وتضع الكثير من حلي دهب الملون بكل الألوان، تملأ به يديها ورجليها, مع بعض الإيشاربات الملونة البدوية.

تُذيِّلُ كلامها دائمًا بآيات من القرآن والإنجيل، وتستشهد بمواقف وحكم من كل العصور, على علمٍ واسعٍ بأسرار الحياة التي تعشقها وتستمتع بها وتريد أن تُسقطَ هذا العِلْمَ والحبَّ على كل من تقابله, وتعتقد أنَّ هذه رسالتها الموكلة إليها من ربِّ الكون.

ما نعرفه عنها أنها قد أتت إلى دهب في رحله عابرة وهي التي كانت تجوب العالم في رحلات استشفائية وتشتهر بعمل جلسات التأمل لها ولمن معها، يحكي الكثيرون أنها كانت متزوجة وزوجها كان معها عندما أتت لدهب.

ويقال إنه غرق في رحلة غطس وهو الذي كان يشتهر باحترافية الغطس، وذلك في منطقة (البلوهول) وهي رقم اثنين على مستوى العالم في أجمل مناطق الغطس وأعمقها، حيث يتعدى عمقها الـ١٥٠

مـترًا عـلى الشـاطئ.

ويقـال إنَّ مـيرا تغطـس كلَّ يـوم منـذ إقامتهـا في دهـب صيفًـا وشـتاءً، ربمـا كانـت تحيـي ذكـرى زوجهـا ولكـن عـلى طريقتهـا الخاصـة، لا نعلـم إذا كان لديهـا أطفـال أم لا؟ وتعلَّمْنـا ألا نسـأل، فـدرْسُ مـيرا الأول للجميـع ممـن تراهـم للمـرة الأولى هـو:

- لا تقيِّـمْ، لا تسـأل عـن شيء لا يفيـدك، لا تقيِّـمْ أحـدًا بمـا تـراه مـن خارجـه؛ فأنـت لا تعلـم مـا بداخلـه، كلٌّ منـا يُظهـر جـزءًا قليـلًا مـما يـراه النـاسُ، والكثـيرُ بداخلـه لا يعلمـه سـوى خالقـه، فكيـف نحكـمُ عـلى مـا لا نعلـمُ؟

تحـكي دائمًـا مـيرا عـن ذلـك قصـة الملـك العـادل الـذي كان يجـولُ بالبلـدة مسـاءً فوجـدَ رجـلًا مُتـوفًّ ملقًـى عـلى الأرض، وعندمـا سـأل قالـو لـه إنـه رجـل سـيئ للغايـة، شـارب للخمـر وزانٍ.

أمـر الملـك رجالـه بحملـه إلى منزلـه وأتى بزوجتـه، فقالـت: واللـه إنـه كان يذهـب لـشراء الخمـر ويلقـي بـه في الأرض ويقـول الحمـد للـه أني قـد أنقـذت النـاس مـن أذاه، وكان يذهـب إلى بيـوت العاهـرات ويعطـي لهـن أجـور ليلتهـن حتـى لا يجـد شـبابُ البلـدةِ إحداهـن تعمـلُ، فيكـف الأذى عنهـم.

وقالت المرأة إنه عندما قالت له إن للناس الظاهر وعند موتك لن تجد من يصلي عليك. قال لها: والله إن الله لا يضيع عملي، ولسوف يصلي عليَّ الملك العادل بنفسه وأهل المدينة مجتمعين.

فقال لها الملك: والله إنه لَحَقٌّ، وآمرُ الناسَ بالبلدة كلها بحضور جنازته والصلاة عليه.

كانت ميرا دائمًا تحكي أمثالًا وعبرًا ومواقفَ قد مرَّت بها في كلٍّ من البلاد التي زارتها، كلامُها جميل ولديها ملَكَة الإقناع وكاريزما تجعل كلَّ من ينظر إليها يشعر بشعورٍ من الراحةِ والسَّكِينةِ، وكيفَ لا وهي من تتحدَّثُ بقلبِها؟!

افعلها الآنَ
أحيانًا (فيما بعد)
تصبح (أبدًا)

حنان

اقتربت الساعةُ من الثانيةِ صباحًا وما زالت حنان جالسةً منذ ما يقرُبُ من خمسِ ساعاتٍ متواصلة أمام شاشة حاسوبها الشخصي.

لم تنتبه إلى الوقت حتى سمعت مُواءَ قطتها الشديد طالبةً طعامها، فقامت على فورها تربُتُ على ظهر قطتها وتعتذر لها بشدة، وتقول لها إنها لم تنس إطعامها وحدها، بل هي أيضًا لم تاكل شيئًا منذ وجبة غداء هذا اليوم.

حنان فتاة تعدَّت الأربعين بقليل، ذات ملامح عاديَّةٍ، وجه بيضاوي وجسد ممتلئ جدًّا جعلها تعتزلُ الحياةَ العامة إلا قليلًا في السنتين الأخيرتين وتختبئُ خلف شاشتها الإلكترونيةِ، وعيون سوداء واسعة وأنف متناسق وشعر أسود كثيف مُغَطّى دائمًا بحجابٍ إسلاميٍّ صحيح.

وكان أكثر ما يميزها هذه الروح المرِحَة حتى إنها بدأت مؤخرًا تتحدثُ عن عنوستها وتُلقي بنفسها النِّكَاتِ عليها.

ذات أخلاقٍ وقيمٍ ومبادئَ عاليةٍ، تقطنُ في نفس العقار المملوك لوالدها المقاول الشهير، ويسكن في الشقة المقابلة لها أخوها الوحيد وزوجته وأولاده الثلاثة، مات والداها منذ عدة سنين، وقبل أن تُنهيَ دراستَها الجامعية في كلية الآداب قسم فلسفة بعامٍ واحدٍ.

وقد تقدَّم لها الكثيرون منذ كانت في السابعة عشر من عمرها و كان رَفْضُ والدها في هذا الوقت بحجة صغر سنها، ولكن بعد أن دخلت الجامعة لم تنقطع طوابير العرسان عن بيتهم كما كانت تفتخرُ أمُّها دائمًا، كان سببُ الرفض قد أصبحَ جليًّا؛ فقد كان رَأْيُ أبيها الدائم (ده طمعان في فلوسي).

وهكـذا عامًـا بعـد عـامٍ، حتـى بعـد رحيـل والديهـا في فـترةٍ متقاربـةٍ لبعضهـما البعـض، لم يكـن أخوهـا أفضـل مـن أبيهـا حـالاً في رفـض العرسـان ولنفـس السـبب.

حتـى الشـخص الوحيـد الـذي أحبتـه فعـلًا مـن كل قلبهـا -وكان معيـدًا لديهـا في الكليـة- كان حبًّـا مـن طـرفٍ واحـدٍ فقـط، ولم تجـرؤ عـلى التصريـح بـه لأي مخلـوق، بالرغـم مـن أنهـا كانـت تلمـح في عينيـه دائمًـا نظـرات هيـام وحـب يحتـاج إلى فقـط طـوق نجـاة ليقفـز إلى مركـب الحيـاةِ ويعلـن عـن نفسـه، لكنهـا ولخوفهـا مـن أبيهـا وتعرضهـا لهـزةٍ أخـرى مـن الرفـض غـير المـبرر بالنسـبة لهـا، آثـرت الاستسـلامَ والسـكوت.

الخـوفُ ومـا تربـت عليـه تَـرَكَ في نفسـها جُرحًـا غائـرًا رفـضَ الزمـنُ أن يخيطـه لهـا. حتـى بعـد أن تخرجـت في الجامعـة وحتَّـى بعـد أن ظـلَّ هـذا الحـبُّ هـو سـبيلها في الحيـاة، وحتـى بعـد أن مـات والداهـا، لم تسـتطع أن تبحـثَ عنـه أو تذهـبَ إليـه، وكأنهـا كمريـضٍ يئـسَ مـن شـفائه وحـاولَ أن يعتـادَ عـلى مرضـهِ والتعايـش معـه.

انشـغلت في بدايـةِ تخرجهـا بالأعـمال الخيريـة وزيـارة المستشـفيات ومسـاعدة كلِّ مـن كان يحتـاج إلى مسـاعدة، وعُرفت بجدعنتهـا وحبها لفعل الخـير مهـما كلفهـا الأمرُ، كانت تسـتخدمُ عربتها الخاصةَ وتسـتمتع بالسـواقة وهـي ذاهبـة إلى دروسـها في المسـجد أو في أيٍّ مـن الأعـمال الخيريـة المكلفـة بها :

- ده الوقت الوحيد اللي بحس فيه إني بني أدمة وليه حرية التصرف.

تربت حنان تربيةً صارمةً بالرغم من غِنى والدها الفاحش.

أحيانًـا يكـون المـالُ نقمـةً عـلى صاحبـه وليـس نعمـةً، أو هـو مـن يقـرر لنفســه ذلك.

منـذ مـا يقـرب مـن السـنتين زاد وزنهـا كثـيرًا بـدون سـببٍ واضـحٍ، ربمـا مـن الاكتئـاب أو الوحـدة.

حنان التي كانت تقضي نصف يومها أو ما يزيد جالسةً أمام كل المواقع الإلكترونية، فهي تشعر أنها بوابتها على الحياة بكل جمالها وقبحها.

عندما تعرضت إحدى صديقاتها لمشكلة عويصة عرضت عليها أن تطرحَ الموضوعَ على باقي الأصدقاء وبدون ذكر اسمها نظرًا لحساسية الموقف، لعلهم بآرائهم يقترحون عليها بعضَ الحلول، وقد كان.

فما كان من حنان إلا أن تقرر إنشاء صفحة لعرض مشاكل الفتيات والسيدات من الأصدقاء وعرض مشاكلهن بدون ذكر الاسم، فقط يرسلون لحنان المشكلة على الخاص وهي تضعها على الصفحة باسم الصفحة.

وتتوالى متابعة الحلول والنقاشات وتحاول أن تنظم الحركة داخل كل مشكله إلى أقصى حدٍّ حتى لا تتحول الصفحة إلى ساحة من الخلافات والاختلافات بعد ما آل إليه المجتمعُ المصريُّ في الآونةِ الأخيرةِ.

لم تكن تتوقعُ اليوم وبعد مرور عامين على إنشائها لهذه الصفحة أن يصلَ عددُ مشتركيها إلى أكثر من مائتي ألف مشتركةٍ، لا يعرفنها غير باسم الصفحة؛ (أسرار البنات) ولا توجد أيةُ صورٍ شخصيةٍ لها عليها، ولكنها نجحت في إدارتها نجاحًا بالغًا، جعلها تنتشرُ بسرعةٍ رهيبةٍ، وتطمئن السيدات فيها على سرية معلوماتهن وعلى التحدث بمنتهى الحرية.

فحنان كانت لا تقبل سوى بسيدات أو فتيات فقط، وكان من شروط الموافقة على الانضمام للصفحه أن تكونَ المشتركةُ على معرفةٍ شخصيةٍ بإحدى المشتركات بالفعل مما يضمن عدمَ دخول رجال بأي شكل حتى ولو تحت اسم مستعار.

هكذا اختلفت حياة حنان تمامًا بعد إنشاء هذه الصفحة كما اختلفت نظرتها إلى الحياة، من كمِّ المشاكل التي قرأتها وتفاعلت

مـع أصحابهـا وسـمعت آراء كل الفئـات مـن المجتمـع، مـما أكسـبها خـبرة حياتيـة واسـعة، فكانـت نعمـةً ونقمـةً عليهـا في نفـس الوقـت.

فعندمـا كانـت تقـرأ عـن قصـة إحداهـن وحبهـا لشـخص مـا وكيـف ان أهلهـا يرفضونـه، فتجـد السـيدات ينصحنهـا بنصائـح حكيمـة وعـبر وأمثـال مـن المجتمـع وآيـات وأحـداث مـن الإنجيـل والقـرآن، لترجـع البنـت بعـد يومـين تشـكر الصفحـة ومـن عليهـا لأنهـن كُـنَّ سـببًا في معرفتهـا كيفيـة الحفـاظ عـلى حبهـا والانتصـار لـه وإقنـاع الأهـل عـلى الموافقـة، فتـترك هـذه الحالـة غُصَّـةً في قلبهـا، كيـف رَضَخَـت لـرأي والدهـا، ومـن بعـده أخيهـا، كيـف لم تنتصر لحبهـا الوحيـد ولم تعطـهِ أيـةَ فرصـةٍ للنجـاة؟ لمـاذا كانـت بهـذا الضعـف والاسـتكانة؟

وفي اليـوم التـالي وعندمـا كانـت تعـرض مشـكلةً عـن خيانـةٍ وغـدرٍ واكتشـافِ الـزوج بعـد الـزواج سـواء بـضرب وإهانـه أو بخـل حتـى في المشـاعر، وكيـف أنَّ الفتيـات يندبـن حظَّهـن وأنَّ هـذا سـبب تصميمهـن وعـدم سـماعهن كلام أهلهـن ورفـض هـذا العريـس أو ذاك، تجلـسُ لتشـكر اللـه عـلى أنهـا ليسـت بطلـة هـذه المشـكلة وأنهـا غـير نادمـةٍ عـلى عـدم زواجها وأنهـا كانـت لا تسـتطيع تحمـل مثـل هـذه الصدمـات ومـا شـابهها.

كل يـوم كانـت تلـك أو تلـك، شـاكرة أو ناقمـة، ممتنـة، أو معترضـة، ولكـن يبقـى دائمًـا إحسـاسٌ واحـدٌ ثابـتٌ لديهـا؛ حبُّهـا الخفـيُّ لمُعيـد جامعتِهـا.

كان يومهـا يبـدأ عـادةً بصـلاه الفجـر ومـن ثَـمَّ قـراءة وِرْدِهـا مـن القرآن الكريـم، وكانـت تنـام بعدهـا قليـلًا لتسـتيقظ عـادةً عـلى (أم عبـده)؛ سـيدة تسـاعدها في المنـزل مـن أيـام والدتهـا، تـأتي يوميًّـا للنظافـة وعمـل بعـض الأكلات للشـقتين؛ حنـان وأخيهـا.

تذهـب قليـلًا إلى زوجـة أخيهـا أحيانًـا للعـب مـع الأولاد أو مسـاعدتهم في دروسـهم، وأحيانًـا كانـت توصلهـم بعربتهـا إلى النـادي لمتابعـة تمارينهـم

أو المكوث معهم، وسرعان ما ترجع لتأكل قليلًا ثم تبدأ في عملها اليومي في قراءه المشكلات واختيار أكثرها أهميةً ومن ثَمَّ نشره وطرحه للنقاش ومتابعة هذا النقاش والسيطرة على كل عضوات الصفحة بإلزامهن وتذكيرهنَّ الدائم بقواعد وقوانين الصفحة والالتزام بها. عمل مرهق للغاية وكان يستمر أحيانًا إلى ما يقربُ من صلاه الفجر!

كم نسيت أن تأكل أو تشرب، وكم أهملت قطتها الوحيدة من جراء اندماجها في صفحتها، ولكنها كانت تحدث نفسها بأنَّ هذا أجمل شيء حدث لها؛ فكيف كانت ستعيش في ظلِّ الوحدة القاتلة والأربعة حيطان كما تقول عندما تنفرد بنفسها في شقتها؟ فمهما كان أخوها وزوجته وأولادهما بجوارها كانت دائمًا تشعر أنَّ لهم بيتهم الذي يجب أن يُغلق عليهم، ولها بيتها الذي حتمًا يغلق عليها وحدها.

كثيرًا ما كانت تبكي ليلًا سرًّا؛ لما آلَ اليه حالُها؛ لم تُحمِّلْ والديها وأخيها سبب عنوستها، ولم تقنع نفسها سوى بأنه النصيب أو القدر. كانت تقنع نفسها بهذا لكن ليس دائمًا، فكثيرًا ما لعنت كلَّ الظروف التي جعلتها عانسًا في نظر مجتمعٍ لا يرحم، وأقارب ينهشون بكلماتهم التي تخترق القلوب المكلومة.

بكت وبكت كثيرًا، ولكنها كانت في كل مرة تشعر باليأس والحنق، تتذكر كمَّ المشاكل التي مرَّ بها غيرها، فتستكين وتهدأ وترجع إلى حياتها وتنشغل بما تنشغل به من جديد.

استيقظت من غفلتها على صوت زوجة أخيها تناديها:

- حنان..؟ إيه.. سرحانة في إيه؟ بقالي شوية بنده عليك!

- أهلًا يا مرفت، معلش مسمعتكيش.

- طب بصي لقيتلك حاجة ح تعجبك أوي، وأنا في النادي النهارده مع الأولاد لقيتهم منزلين إعلان عن رحلة لدهب, تفاصيلها حلوة أوي، إيه رأيك تروحي تغيري جو شويه، وطالما مع النادي ح تلاقي ناس

كتير تعرفيهم، أو على الأقل أحمد اخوكِ ح يكون مطمن عليكي أكتر، ها إيه رأيك؟

- لا طبعًا، والصفحة؟ والستات والمشاكل؟ ثم ضحكت ضحكة مقتضبة وقالت: والقطه؟ أسيبهم لمين دول بقى وحياتك؟

- يا بنتي صفحة إيه ومشاكل إيه بس؟ إنتي بقالك سنتين مغروزه الغرزه دي، مش معقول، لازم تغيري جو وتريحي أعصابك ودماغك شويه، انتي مش ملاحظة يا حنان كم المشاكل ده مأثرعليك إزاي، وبعدين مش ح يحصل حاجة لما تعتذري عن المتابعه كام يوم، تستعيدي فيهم نشاطك وترجعي لهم بتركيز ومود أحسن.

- لا.. مش عوزه أسافر وكمان مع ناس معرفهمش، لا!

قالتها في حدة وتركت مرفت زوجة أخيها تضرب كفًّا بكفٍّ وتغمغمُ بكلمات تنمُّ عن غضبٍ وقلةِ حيلةٍ.

دخلت حنان لتجلس على كرسيها المفضل وتفتح حاسوبها الشخصي، لتجد نفسها -وبحركة لا إرادية- تبحث في ملف البحث عن (دهب).

حياتُنا كأمواجِ البحرِ
بين مدٍّ وجَزْرٍ
حزن وفرح
هدوء وعاصفة
فَتَمسَّكْ بقاربِ الصبر

شريفة

لأول مـرة في حياتها البالغـة واحـدًا وعشريـن عامًـا تريـد أن تعـترفَ بمـا يخالـج صدرهـا وتكتمـه حتـى عـن أقـرب النـاس إليهـا, سرهـا الدفـين الـذي ولـدت بـه واكتشـفته.

لا تعلـم متـى تحديـدًا, ولكنهـا تتذكـر الآن وهـي جالسـة أمـام البحـر, تنظـر إليـه في شـغفٍ وحـيرة, ربمـا البحـر هـو مـا أوحـى لهـا بالاعـتراف، شـعرت أنـه ربمـا يفهمهـا, يسـاعدها, يجـد لهـا حـلًّا عجـز عنـه الأطبـاءُ الثلاثـةُ الذيـن ذهبَـت إليهـم.

كان الوقـت مـا قبـل الغـروب قليـلًا عنـدي أنـا، أنـا الأرض المباركـة، أرض الأنبيـاء، أنـا دهب ..

وفي هـذا المنظـر الخـلاب وهـذا الجـو الربيعـي المبـدع، رأت الشـمسَ تلملـمُ خيوطَهـا وتسـتعد للرحيـل مخلفـةً وراءهـا أشـعةً برتقاليـةَ اللـون تلهـو في سـعادةٍ مـع زرقـة السـماء والبحـر فتبـدعُ لوحـةً ربانيَّـةً خلابـةً تسـاعد النفـوس التواقـةَ عـلى البـوح بـالأسرار.

والقمـر يظهـر في اسـتحياء ينتظرهـا ليبـدأ مهـام ليلتـه المنتظـرة في هـذه الأيـام التـي يُسـمح لـه فيهـا بظهـوره كاملًا ليـأتيَ بعـد قليـلٍ كلؤلـؤةٍ فضيـة منـيرة تتزيـن لتلاقـيَ حبيبهـا البحـر، وتسـهر معـه ليلـةً جميلـةً يحكيـان فيهـا سـويًّا، ولربمـا يسـتمعان فيهـا لهـا!

شريفـة الفتـاة القاهريـة حاملـة سرهـا وجالسـة في انتظارهـما لتلقـي لهـما كالملايـين مـن قبلهـا بسرهـا في أحضانهـما سـويًّا.

كان عنـدي تقريبًـا سـنتين لمـا ماما ابتـدت تزعقـلي إني بلعـب مـع الولاد بـس وبكـره البنـات الـلي في سـني، ولمـا أول مـرة ضربتني لمـا لقتنـي مقطعة فسـتان العيـد الجديـد بالمقـص ولابسـة لبـس أخويـا الكبـير، شـورت وفنلة.

هكذا تتذكر أول خيوط مأساتها، ومن ثمَّ ما تلاها من أحداث!

بـدأت أفهـم أني بعـاني مـن مشـكلة مـا في نهايـة السـنة السادسـة الابتـدائي، وبعـد مـا اطـردت مـن كل فـرق الرقـص والباليـه الـلي كانـت أمـي بتحطنـي فيهـا غصـب عنـي وكنـت بهـرب وأروح عـلى الملعـب ألعـب كـورة مـع الأولاد، لابسـة شـورت وتيـشرت ولادي، وقصـه شـعري عنـد الحـلاق بتـاع أخويـا، وبعـد مـا باخـد العلقـة المتينـة مـن أمـي وأقعـد أعيط في أوضتـي شـوية, كنـت بهـدي نفـسي لمـا أغمـض عينـي وأشـوف نفـسي بشـكل لعـب كـرة أو مغنـي مشـهور أو ممثـل والبنـات بتعلـق صورتـه عـلى الحيطـان وبيجـرو وراه علشـان يمـضي لهـم عـلى أتوجـراف!

شريفـة الفتـاة اليافعـة التـي يعجـب بهـا الفتيـان مـن أول نظـرة ويقعـون في غرامهـا ولا يجـدون منهـا غـير كلـمات الصداقـة فقـط, حتـى إنهـا في عامهـا الثـاني بالجامعـة تقـرب منهـا فتـى أحـلام أي فتـاة في مثـل سـنها، فقـد كان مطمعًـا مـن كل الفتيـات, فما كان أن اسـتأذنت منـه في أول لقـاءٍ لهـما سـويًّا لقضـاء حاجـة واختلـت بنفسـها في الحـمام لتسـتفرغ كل مـا تحملـه بطنهـا!

هكذا كانت حياتها

- أيوه أنا جوايا ولد!

ومماليـش أي ذنـب في دا, ولا أعـرف ليـه ولا ازاي, كل الـلي فكـراه أني طلعـت الدنيـا ملقتـش فيهـا غـير أمـي وأخويـا الكبـير الـلي مـن أمـي, وشـوية أعـمام مبشـفهمش غـير في خناقـات ومحاكـم معرفـش ليـه, وشـوية خـالات وبناتهـم سـاكنين معانـا في نفـس العـمارة, مشـفتش منهـم غـير كل عطـف وحنيـة مـن أول مـا وعيـت عـلى الدنيـا وهـما دول كل حيـاتي, والمـرة الـلي بيذكـر فيهـا اسـم أبويـا بتبقـي شـتيمة مـن أمـي لمـا تقـولي (روحـي جتـك سـتين نيلـة وأنتـي شـبه الزفـت، اللـه يخـرب بيـت اليـوم الـلي شـفتك أنـت وأبـوكي فيـه)!

هـل دا سـبب كافي أني أطلـع كـده؟ أكيـد لا, في نـاس ظروفهـم اوحـش مـن كـده بكتـير وبيطلعـوا كويسـين

اشمعنا انا؟؟

سؤال سألته لنفسي مليون مرة ملقتلوش إجابة!

ولمـا دخلـت الجامعـه ولقيـت مشـاعري كلهـا متجـه لنهـى صاحبتـي الأنتيـم وأقـرب إنسـانة لي في الدنيـا، صاحبتـي الجدعـة واللـي متهيـألي هـي أكـتر واحـد في الدنيـا بتحبنـي وبتخـاف عـليَّ, ولقيـت نفـسي بـسرح فيهـا كتـير وبحـب أبـص لعينيهـا وهـي بتتكلـم وببقـى عـوزه أمسـك إيدهـا وشـفتها كتـير في أحلامـي بحضنهـا وبابوسـها, سـاعتها بـس لمـا اتاكـدت ميـة في الميـة إني مـش طبيعيـة وإن دي مـش مجـرد هواجـس بتجيـلي أحيانًـا لا أنا .....

هما ليه بيقولو علينا اللفظ ده؟

هو أنا فعلًا كده؟

لا واللـه أنـا عمـري مـا عملـت حاجـة مـن دول, ولا عمـري سـبت نفـسي حتـى لخيالي

أنـا واللـه إنسـانة كويسـة جـدًّا, بحـب ربنـا وبصـلي وبخـاف عقابـه, بـس دي مشـاعر جوايـا، كـبرت لقتهـا مولـودة معايـا ومكنـش لي أي سـبب في وجودهـا، رحـت لأول دكتـور بعـد فـترة انهيـار تـام وأخـدت الخطـوة وقـررت أشـوف السـبب وأحلـه.

أول دكتـور سـمعني كويـس جـدًّا وكان كل شـوية يتـكك بغطـاء القلـم الـلي في إيـده مـما أوحـى لي بأنـه زهقـان أو عـلى الأقـل معنـدوش حـل, وقـد كان.

سـألني إذا كنـت جسـديًّا سـليمة ؟؟ قولـت لـه ميـة في الميـة أنـا بنـت تمامًـا بالمعنـى المفهـوم، سـألني إن كنـت عملـت تحليـل هرمونـات قبـل كـده, قلـت لـه أنـت أول واحـد في الدنيـا يعـرف بالموضـوع ده وأول مـره

أفتحـه, قـال لي: طيـب أنـا ح اكتبلـك عـلي شـوية أدويـة تاخديهـا ح تقويـكي شـوية.

- طب أعمل التحاليل؟

كتـب الروشـته ومـد إيديـه سـلم عـليَّ مـن غـير مـا يبوصـلي حتـى خرجـت مـن عنـده مـش فاهمـه أي حاجـة.

الدكتـور التـاني كانـت دكتـورة شـابة وعيادتهـا شـيك أوي وفيزتهـا غاليـة أوي فقلـت لعلـه خـير!

قعدت معايا وسمعتني كويس كالعادة وقالت لي:

بـصي أدامـك حـل مـن اتنـين ملهمـش تالـت، إمـا تعمـلي عمليـه تحويـل وتعيـشي حياتـك، أو تسـافري بـره البلـد دي علشـان المجتمـع العقيـم الـلي احنـا فيـه دا عمـره مـا ح ينصفـك أو يقـف في صفـك وح يلفظـك ويشـمتك باقـذع الشـتائم، فانتـي خديهـا مـن قصيرهـا وسـافري عيـشي في مجتمـع في أي بلـد أوروبي أو أمريـكي يبقـى متقبلـك بحالتـك دي، مـش بـس كـده، دا أنـت ح تلاقـي الـلي يسـاعدك ويخليـكي تندمجـي بحريـة فيـه ويعملـك نـدوات توعيـة وتلاقـي زيـك كتـير جـدًا وعايشـين ومبسـوطين، غـير كـده نصيحـة منـي متفكريـش، ملكيـش حـل تالـت.

وخـلي بالـك إنـت لسـه صغـيرة وتقـدري تقاومـي دلوقـت حاجـات كتـير، لكـن بعـد وقـت معـين الأمـور ح تخـرج عـن سـيطرتك وح تبقـى في وضـع صعـب مـن تأنيـب الضمـير ممكـن يوصـل معـاكي للانتحـار.

- انتحار؟! لا طبعًا، أنا بصلي وبخاف ربنا، إزي أنتحر؟

لا... أنـا فعـلًا ممكـن أنتحـر، أنـا كرهـت الدنيـا وكرهـت النـاس وكرهـت حيـاتي, وأكيـد ربنـا ح يكـون أرحـم منـي عـلى نفـسي وح يقـدر أنـا عملـت كـده ليـه, أنـا مليـش ذنـب ولا غلطـت في حاجـه .. طـب ليـه؟

بـس برجـع أشـوف نهـى وتقعـد تقـولي وهـي أصـلًا مـش عـارف فيـه إيـه؟ مجـرد إني بقولهـا إني مخنوقـة ومضايقـة و كارهـة الدنيـا والـلي فيهـا،

هـي الـلي بتصـبرني وبتاخـد بإيـدي وتقـول لي قومـي نصـلي وادعـي كتـير ربنـا ح يجعـل لـك مخـرج مـن الـلي أنـت فيـه

كان نفـسي أحـكي لهـا وأقـول لهـا الـلي جوايـا والـلي حاسـة بيـه مـن ناحيتهـا بـس دا ح يكـون آخـر علاقتـي بيهـا أنـا متاكـدة.

نهـى الـلي اقترحـت عـليَّ الدكتـور التالـت والـلي قالـت إنـه أخ فاضـل تعرفـه مـن المسـجد، دكتـور مـخ وأعصـاب وأمـراض نفسـية وإنـه هـادي جـدًا وتحسـبه عـلى علـم وعـلى خـير.

رحـت لـه في عيادتـه المتواضعـة لكـن مجـرد إن نهـى هـي الـلي اقترحتـه عـليَّ مفكرتـش ورحـت لـه عـلى طـول

سـلم عـليَّ كويـس جـدًا وبترحـاب قـوي الـلي خـلاني أطمـن وأبـدأ احـكي له

ولكـن.... يـا ريتنـي مـا رحـت ولا حكيـت، أنـا أول مـا قلـت لـه أنـا حاسـه إني جـواي ولـد ...

لقيتـه وشـه اتغـير وبـص لي شـذرًا وقـام وقـف وهـو مكفهـر وعـلى وشـه غضـب رهيـب كأني مثـلًا قلـت لـه أنـا الـلي قتلـت أبـوك!

قـال لي لـو سـمحتي متكمليـش، أنـا آسـف مبقبلـش الحـالات الـلي مـن النـوع دا، ونـده للتمرجـي بتاعـه قـال لـه رجـع لهـا فلوسـها.

بـدون سـلام او أي نـوع مـن أنـواع حتـى الشـفقة بـل بالعكـس عمـري مـا حسـيت بإهانـه وبالانحطـاط زي اليـوم دا.

وكنـت كل الـلي خايفـة منـه إنـه يفـشي سري لنهـى وأخسرهـا هـي كـمان للأبـد.

ساعتها حسيت إني عوز أجري أجري أجري ومحدش يوقفني

أنا ماليش ذنب، ماليش أي ذنب.

ولميـت هدومـي وهربـت، هربـت مـن الدنيـا كلهـا، وجيـت لحـد عنـدك، ولقيتنـي بحـكي لـك، يمكـن تسـاعدني، تقـدر تسـاعدني؟

ايـه رأيـك.. أنـا حاسـه إني عـوز أنـزل أغـوص جـواك دلوقـت حـالًا، الدنيـا ضلمـت وأنـا قاعـده في حتـة بعيـد عـن النـاس، يعنـي محـدش ح يشـوفني، وأنـت أرجـوك خـدني بسرعـه ومـن غـير مـا أتعـذب، وودينـي مطـرح مـا أنـت عـوز، مـش يمكـن يكـون جـواك مـكان يسـاع الـلي زيـي!

مش يمكن مش مكاني هنا في الدنيا دي!

طيـب يمكـن أنـا مجنونـة ومافيـش عـلى المجنـون ذنـب، كفايـة إني بكلمـك وانـت بحـر وأكيـد مـش سـامعني ولا فاهمنـي، يمكـن انتحـاري جـواك يكـون سـبب لتخفـف آلامـي!

طب أعمل إيه طيب؟

أعيش .... زي ما بيسمونا؟

ولا أموت كافرة؟

مهـو أنـا مـش ح اقـدر أعيـش كـده، ولا ح اقـدر أعمـل عمليـة واتحـول، ولا ح أقـدر أواجـه أهـلي ولا المجتمـع ولا نهـى لـو عرفـوا سري!

هكـذا تكلمـت شريفـة لسـاعات، وكانـت تبـكي في وسـط كلامهـا بـكاءً مريـرًا، بـكاء جعـل البحـر أمامهـا يهـدئ مـن أصـوات أمواجه حتـى أصبحت كالعـدم سـواء، احترامًـا لمشـاعرها، والجبـل مـن خلفهـا أوقـف حركـة الهـواء حتـى لا تؤثـر عـلى انفعالاتهـا، وجعلتنـي أنـا أرض دهـب أخشـع في دعـاء طويـل، لعـل اللـه يسـتجيب لي ويجعـل لمشـكلتها حـلًا عنـدي!

سلامًا من القلب على من تمسَّكَ بمن أحَّب
سلامًا من القلب على من أحبَّنَا كما نحنُ
سلامًا من القلب على من أُتيحت له الفرصة لتركِ أيدينا
وأبى وأحكم قبضته بشدَّةٍ
ليزدادَ تمسكه بنا

أول يوم

في اليـوم المحـدَّد للرحلـة كانـت المجموعـة كلهـا في موعدهـا أمـام بوابـة النـادي الرئيسـية؛ نـادي المعـادي الشـهير والـذي يحمـل عضويتـه صفـوة المجتمـع المـصري والذيـن كانـوا مـن قاطنـي نفـس المنطقـة الشـهيرة، المجموعـة كانـت كبـيرة وأغلبهـم يعرفـون بعضهـم البعـض معرفـة جيـدة، ولكننـا سـنركز عـلى عـدد محـدد منهـم فقـط.

المجموعة التي تخصنا هم ٦ سيدات وفتاة:

حنـان وصديقتهـا الحميمـة نجـوى، صفـاء وإبتسـام ونـور، جـدة وابنتهـا وحفيدتهـا، ليـلى وناهـد، السـيدات جميعًـا تجمعهـن جلسـات صباحيـة في النـادي في الشـتاء وبعـض الجلسـات الصيفيـة كلٌّ حسـب أوقاتـه.

عندمـا اجتمعـت المجموعـةُ كانـت قـد قـررت كلٌّ منهـن أن تشـترك في هـذه الرحلـة وشـجعهم وجودهـن فيهـا، ذهـبن يحملـن بداخلهـن الكثـير والكثـير، ولم تكـن الرحلـة بالنسـبة لهـن سـوى اسـتراحةٍ حياتيـةٍ قصـيرةٍ ويرجعـن كـما كُـنَّ، لا تغـير، فالمشـاكل التـي تحيطهـن لا أمـل في تغيرهـا، أو هكـذا كـن يعتقـدن.

بعـد أن وصـل الأتوبيـس السـياحي الفخـم إلى مـكان خلـف الفنـدق والمطـل مبـاشرةً عـلى البحـر ويقـع عـلى سـاحلٍ بلاطـيٍّ ممتـد لمسـافة مـا يقـرب مـن العـشر كيلومـترات والمسـمى بالمشـاية أو الممـشى كـما يطلـق عليـه الغربـاء عـن دهـب.

وبعـد رحلـة اسـتمرت قرابـة السـبع سـاعات تخللتلهـا بعـض الوقفـات سـواء في اسـتراحات أو في بعـض الكمائـن الأمنيـة ـوجدوا في انتظارهـم ثلاثة رجـال وبعضًـا مـن البـدو في جلابيهـم البيضـاء وهـم أهـل دهـب الأصليـين.

تقـدم أحـد الرجـال مـن الأتوبيـس فـور توقفـه، ووقـف عـلى بابـه يرحـب بالنازلـين فـردًا فـردًا بـأن يمـد يـده إليهـم بالترحـاب مقدمًـا نفسـه:
- خليل، أهلًا وسهلًا.. نورتو دهب كلها.

لكي تأتي الأشياءُ الجميلة إلى طريقك
يجبُ عليك أن تؤمن أنك تستحقها

خليل

رجـل خمسـيني ممتلـئ قليـلًا، بشرتـه سـمراءُ، وذو شـعرٍ خفيـفٍ تتخللـه بعـضُ الشـعيرات البيضـاء عـلى جانبيـه، ملامحـه مريحـةٌ وابتسـامته عريضـةٌ تحبهـا العيـون فـور رؤيتهـا، يرتـدي تيـشرت قطـن أبيـض عليـه شـعار الفنـدق (مـيرا أوتيـل) بلونـه الأحمـر الفاقـع، وشـورت جينـز طويـل، وشبشـب بنـي أقـل مـن العـادي بهـت لونـه كثـيرًا، يـكاد أن يكـون مجربًـا ويعلـوه الـتراب.

نـزل الجميـع مـن الأتوبيـس ووقفـوا بجانـب خليـل ينتظـرون الشـنط، فلاحـظ خليـل ذلـك فقـال لهـم مبتسـمًا:

- لا، حضراتكـم اتفضلـوا معايـا والرجالـة ح تنـزل الشـنط وتدخلهـا الأوتيـل.

ظهـرت علامـات القلـق عـلى بعضهـم، ففهـم خليـل الوضـع فـورًا فضحـك وطمأنهـم قائـلًا وهـو يبتسـم:

متقلقوش خالص، في دهب كله أمان.

ثم مدَّ يديه إلى الرَّجُلين الآخرين اللذين كانا برفقته وقال:

- أحب أعرفكم؛ عمرو وعبده.

هكذا فقط بدون تحديد من هما عمرو وعبده!

عمرو

شاب في منتصف العشرينات إذا لم تسمعه يتحدث تعتقد بلا شكٍّ أنه خواجة، أبيض البشرة بعينين زرقاوين وشعر أصفر كثيف جدًّا وكأنه يشبه جروًا لُولُو أهمل أصحابه في تسريحه أو العناية به، كانت تجعيدات شعره على الرغم من ظهور اصفراره إلا أنها تكاد تقسم أنها لم يوضع عليها منذ فترة طويلة أي نوع من أنواع الصابون، فيظهر كأنه خارج للتوٍّ من معركة حربية في الصحراء، أو أنه عُشُّ عصفورٍ كبيرٍ لو ركَّزْتَ فيه قليلًا لربما تجد فراخه نائمةً بداخله!

يرتدي عمرو نفس التيشرت الأبيض باسم الفندق، وشورت قطن رمادي أقل ما يقال عليه في القاهره أنه بنطلون بيجاما قديم متهرئ وقصه ليجعله شورت، وشبشب بلاستيكي راح لونه الأصلي ولم يعد!

ولكن أيضًا على وجهه نفس الابتسامة هذه والترحاب الخارج من القلب ويظهر في حرارة يده وهو يسلم على المجموعة فردًا فردًا ويضغط على يديهم بشده.

أما عبده فكان رجلًا في آخر الأربعينات، طويلًا وعريضًا، أسمر، تظهر أسنانُه الصفراء متراصَّةً بعنايةٍ فائقةٍ من ثَغْرِهِ المبتسمِ جدًّا ، ليس على شعره شعرةٌ واحدةٌ، أصلع تمامًا!

يمسح بيديه حبات العرق المتكاثف على صَلعته وهو يحمل الشنط من داخل الأتوبيس لينالوله ليد أحد الأعراب المساعدين، وعندما قدَّمَه خليل للمجموعة أومأ برأسه بتحيتهم متمتمًا بكلمات الترحاب وسلامة الوصول.

كانت المجموعة تسير وراء خليل بينما انشغل عمرو مع عبده والباقين في إحضار كلِّ الشنط وإدخالها من بابٍ خلفي مواجهٍ لموقف

الأتوبيس، وإيصالها إلى بهو الفندق.

مشوا في ممر رملي صغير قبل أن تطأ أقدامهم بلاط المشاية المميز، وقبل أن تلفحَ وجوههم رياحٌ خفيفةٌ محملةٌ بعطرٍ مميز قادم إليهم من البحر الذي فوجئوا جميعًا بمدى قربه حتى شعروا أنه قد قرب إليهم خصيصًا من مكانه الذي كانوا يظنون أنه أبعد من هذا.

شعروا أنه قد قرب خصيصًا ليرحب بيهم ويحتضنهم بنفس حرارة ترحاب خليل وعمرو وعبده بهم، ولا يعلمون هذه الرذاذات المتجهة مباشرةً إليهم فورَ وقوفهم أمامه، هل هي من جرَّاء موجةٍ قويةٍ أم أنها باقي سلام البحر عليهم؟! أنعشتهم هذه الرذاذات قليلًا بعد رحلة طويلة، ونفوس مُتعَبةٍ وحائرةٍ.

المشايةُ لا يتعدَّى عرضُها أمتارًا قليلةً ومن ثمَّ تجد البحرَ مباشرةً أمامها، وبجانبهم عندما خرجوا من الممر الرملي تسكن كل الفنادق والمخيمات الشبابية في مواجهة البحر مباشرة.

ومن خلف هذا المشهد جبلٌ كبيرٌ متعرجٌ إذا أطلت النظر إليه قليلًا تجده يحكي لك قصصًا وحكاياتٍ كثيرةً لعلَّ أهمها قصص هؤلاء الأنبياء الكِرَام الذين مرُّوا عليه!

ومن فوقهم سماءٌ صافيةٌ بلونها الفاتح المُبهج وليس بها أيُّ سحابٍ في عصر هذا اليوم الربيعيِّ الجميل، حتى إنَّ الشمسَ كانت قد قرَّرت الاختباءَ قليلًا خلفَ الجبل حتى لا تسقط عليهم بأشعتها؛ كنوعٍ من الترحاب بهم أيضًا.

كان الجوُّ العام كله مع ابتسامة وترحاب المضيفين مريحًا للأعصاب بشكل عام، مُحِيِّرًا وغامضًا ومتوجسًا للبعض ممن حملوا مع أمتعتهم مشاكلهم وأعباءهم.

استقبلتهم على السلالم الخمس الفاصلة من المشاية إلى باب الدخول فتاةٌ عشرينيةٌ جميلةٌ ذات مظهرٍ متحرِّرٍ تُظهر أنوثتَها وجمالَها غصبًا،

والتـي تحـاول إخفاءهـما مـن خلـف فنلـة بيضـاء بحـمالات عريضـةٍ عليهـا أيضًـا شـعارُ الفنـدق وشـورت جينـز قصـير جـدًّا.

شـعرها قصـير جـدًّا بالرغـم مـن وضـوح نعومتـه وكثافتـه وسـواده الغطيـس، إلا أنـه مقصـوص قَصَّـةً رِجاليَّـةً بَحْتَـةً، تُظهـر كامـلَ رقبتهـا وقَفَاهـا، عيناهـا صغيرتـان وبشرتُهـا خمريـةٌ ولا تضـع أيًّـا مـن مسـاحيق التَّجْميـلِ.

فقـط تُزيِّـنُ أذنيهـا بقطيـعٍ هائـلٍ مـن الحِلْقَـان المرصُوصَـةِ مـن أول شَـحْمَةِ الأُذن مـن فـوقٍ وحتـي نهايتـه، كأنهـا قـد أعطـت أذنيهـا لصانـعِ أحزمـةٍ فوضَعَهـا عـلى هـذا الجهـاز الـذي يخـرم بـه الحـزام، أكـثر مـن خمسـة خـروم في كل أُذنٍ وفي كلِّ خـرم قـرطٌ شـكلُه مختلـف عـن جـاره.

تزيـن معصميهـا ورجليهـا بكثـير مـن الحـلي القـماشي الملـون والمجـدول والتـي تشـتهر بيـه دهـب، حتـى إنَّ أغلـبَ الفتيـات البدويـات الصغـيرات جـدًّا في السـن يُتقـنَّ صُنعَـه وتنسـيق ألـوان خيوطـه ليجدلـن للزائريـن حسـبما يريـدون في دقائـق معـدودةٍ.

يمـررن عليـك عـلى البحـر أو في أيٍّ مـن المقاهـي عـلى المشـاية حاملات حقيبـة بلاسـتيكية متهرئـة مـن كـثره الاسـتخدام، بداخلهـا كل ألـوان الخيوط ومـا عليـك سـوى اختيـار ثـلاث منهـن ليبـدأن عـلى الفـور في جـدل حليهـن ووضعهـا حـول معصمـك أو قدامـك.

كـما أنهـن قـد طَـوَّرْنَ مـن الصنعـة فأخـذن يجدلـن للراغبـات جديلـةً في شـعرهن، وتطـور الأمـر إلى جَـدْلِ أسـلاك شـواحن الهواتـف النَّقَّالـة أو أيـدي النظارات أو السـماعات.

ليـلى بمظهرهـا المتحرِّرأثـارت حفيظـةَ وامتعـاضَ البعـض، قـرروا أن يحتفظـوا بهـا بـين أنفسـهم وإن بـدت جليَّـةً في نظراتهـم إليهـا؛ فكانـت ليـلى كـما عرَّفَتْهـم بنفسـها المسـئولةً عـن البرنامـج المُعَـدِّ لهـم والـذي كانـوا عـلى عِلْـمٍ بـه مـن لحظـة حجْزِهـم في هـذه الرحلـة.

في مدخل الفندق وقبل الوصول إلى الباحة في وسطه والتي تفتح على هذا الباب الخلفي حيث الأتوبيس ودخول الأعراب حاملين الشنط.

عرَّفهم خليل بصوت جهوريٍّ على الحجرة الكبيرة على جانبهم بأنها مركز الغطس بالفندق، غَمْغَمُوا فيما بينهم، وعلا صوتُ حنان قائلةً بابتسامةٍ ممزوجةٍ بنبرةٍ ساخرةٍ:

- ده طبعًا للأجانب مش لينا؟

فردَّت عليها ليلي من فورِها:

- لا طبعًا.. إزاي! ده متاح لكل النزلاء.

فقالت صفاء من خلف نظارتها الشمسية ذات الماركة العالمية، ولون أحمر الشفاه الذي لم يضع بعد كل ساعات السفر تلك وهي تلوح بيديها فيظهر أشعة خاتمها المَاسِيِّ الكبيرِ جليًّا:

- بس احنا مش بنعرف نغطس، وبالنسبة لي أنا على الأقل وكمان بخاف ومش حاسه إنها حاجة حلوة يعني، دي رياضة ليها محبيها مش لأي حد.

لم تُعَقِّبْ ليلي بل نظرت لخليل مبتسمةً ابتسامةً ذاتَ معنى!

في بهو الفندق والذي ظهر لهم الآن أنه ليس فندقًا بالمعنى المُتَعَارف عليه بالنسبة لهم جميعًا؛ فلا بوابة ضخمة ولا ثُرَيَّات كبيرة مُدلاة ولا حتى صالة استقبال بها مكاتب وخلفها موظفون أمامهم شاشات لتسجيل وحفظ البيانات، ولكنه أقرب لصحن بيت ريفي أرضه نصفها رمل والآخر بلاط

وفي وسطه قاعدة عربي محاطة بسور صغير عليه قصارٍ حجريةٍ بها فتحات متناسقة تستخدم ليلًا لإضاءة الصحن، تنزل إليه بثلاث سلالم صغيرات، فتجد مرتبات على أرضه وحولها كثير من الوسائد وكلها مكسوة بقماش بدوي صوف خالص وملون بألوان كثيرة.

أمام المراتب مَنَاضِدُ خشبية كل واحدة بلون مختلف وبرِجلٍ قصيرة جدًّا تكاد تشابهُ الطبلية المصرية القديمة، وفي المنتصف بالتمام هناك حفرة تحسبها بئرًا صغيرًا ولكن عند الاقتراب منها تكتشف أنها مليئة بالحطب المحروق فتفهم أنها وسيلة تدفئة شتوية.

وأمام هذا الصحن وخلف حجرة مركز الغطس، حجرة أخرى صغيرة بابها مفتوح بها مكتب مدرسي قديم يجلس عليه خليل وأمامه شاشة حاسب آلي كبيرة، ومن خلفه على الحائط لوحة خشبية معلق عليها مفاتيح الغرف مُدلَّاة بميدالية نحاسية محفور عليها رقم الغرفة. لم تتمالك صفاء نفسها من أن تطلق دُعَابةً ثقيلةً قائلةً:

- لوكاااندة المندرة!

ضاحكةً وسط ضحك الجميع.

مرُّوا بأعينهم يستكشفون باقي المكان، فوجدو بارًا رُخاميًّا عريضًا في نهاية الصحن، به ثلاجة منزلية كبيرة، وعلى رخام البار وجدوا سخانًا كهربائيًّا وإبريق شاي نحاسي، وبشكل عشوائي وضعت أكواب زجاجية عادية جدًّا، من تلك التي توجد في المقاهي الشعبية، وعبوات شاي وبُنٍّ وبعض الأعشاب موضوعة وضعها في محل البقال المشتراة منه.

وخلف الصحن توجد حجرة كبيرة مفتوحة على مصراعيها عبارة عن مطبخ كبير وظاهر أمامهم المواقد والأدوات، ويظهر في وسطه طباخون ضخام الجثة وللغرابة لاحظوا أن أحدهم أُوروبي الملامح، وإن كان هذا ليس أول أجنبي يرونه في المكان ولكنهم لاحظوا اثنين آخرين، أحدهما واقف في مركز الغطس، والأخرى فتاة فائقة الجمال من شكل وجسم وشعر، واقفة في حجرة خليل تساعده في بعض الترتيبات.

كانت هذه بعض الملاحظات الأولية التي رأوها، وامتعض البعضُ من فَقْرِ المكان وأنه ليس بفندق، وأنه يجب محاسبةُ النادي على هذا الإهمال، وتَمْتَمَ البعض كذلك أنه لربما كان هذا السبب الذي منع

المندوب الخاص بالنادي من الحضور معهم كالمعتاد من إداره النادي في إرسال شخص يكون هو المسئول عن الرحلة من الذهاب إلى الإياب.

وعللوا أن السبب الواهي الذي أبلغهم به السائق صباحًا أن المندوب قد وقع له حادث ولم يستطع الحضور، وأن هذا الحادث قد وقعَ له صباحًا وهو قادم ولذلك لم يتسنَّ للإدارة توفير بديل سريع له، وأن سائق الباص كان يجب أن يتحرك في موعده تمامًا حتى لا يواجه زحمة نَفَق الشهيد أحمد حمدي والذي يحفظه السائقون ويعلمون انه إذا لم يمروا في وقت مبكر جدًّا قد يضطرون على أثر التأخير الوقوف في زحمة النفق لمدة تتعدى الثلاث ساعات أو أكثر، لذلك قرر السائق التحرك في موعده مع وعد أن النادي سوف يرسل مندوبًا آخر لحظة توفيره، ومن ثمَّ إرساله في أقرب فرصة.

شعر خليل بما يجول في أنفسهم، فدعاهم إلى الجلوس في الصحن لشرب شاي الترحاب وكما قال:

- ده شاي بدوي اتعودوا عليه علشان ح تشربوه كتير طول إقامتكم في دهب.

بعدما قدم كلٌّ من ليلي وعمرو الشاي للجميع وكان التعب والزهق قد حل بالبعض، وبدأوا يسألون عن الغرف هل هي جاهزة؟ وأين هي الشنط و متعلقاتهم؟

قال لهم خليل:

- الغرف كلها جاهزه وفي انتظاركم، ولكن معلش أنا عوز آخد من وقتكم كمان عشر دقايق بس، ح اقولكم شوية نقط مهمة جدًّا مش بس خاصه بالأوتيل (ابتسمت صفاء برخامة في هذه اللحظة وهي تمتص شفتها من كلمه أوتيل) وكمان كام حاجة خاصة برحلتكم لدهب بس صدقوني، دول أهم عشر دقايق وبعد كده ح اسيبكم تستريحوا بس مش كتير خلو بالكم وح تعرفو ليه بعد شوية، قالها

وهـو يقـوم مبتسـمًا مشـيرًا إليهـم بنقـل القاعـده إلى القاعـدة الخارجيـة للفنـدق والتـي تـكاد تلامـس مقاعدهـا ميـاه البحـر مبـاشرة.

لا تستطيع أن ترى ما لا تبحثُ عنه

منتصف اليوم الأول

عندما خرجت المجموعة التي بدا عليها التأفف والملل وجلسوا كما طلب منهم خليل على الجلسة البدوية في الكافتيريا الخاصة بالفندق ولكن على الجهة المقابلة والتي تلامس البحر مباشرة، تركهم دقيقتين لالتقاط أنفاسهم وهم ينظرون إلى المنظر الذي أمامهم وبالرغم من أنَّ الساعة كانت تقترب من الرابعة عصرًا إلا أن نسمة هواء باردة قد لعبت بالموج فأخذت بعض رذاذته تطولهم وتدغدغ وجههم، مع نسمة هواء رطبة جميلة، جعلتهم يهدءون البحر أمامهم وخلفه جبال مدينة تبوك السعودية قريبة جدًّا حافة الشاطئ مزينة بكمية هائلة من المقاهي والمطاعم وكلها ملونة بألوان كثيرة تحيي النفس وتبهج العين أشجار ونخيل تحيط بهم وخلفه جبال دهب العتيقة الرائعة، وفي الوسط البحرُ بدرجات ألوانه المتعددة، منظر خلاب لا يستطيع أمهر الرسامين رسمه إن حاول؛ فهي لوحة ربانية فريدة.

- أولًا برحب بيكم تاني وأحب بقى أعرفكم بنفسي أكتر، أنا خليل الجوهري مدير الأوتيل، طول عمري شغال في السياحة وكان عندي شركة بتاعتي، لكن وقعت لما السياحة كلها اضربت في مصر وجيت هنا مرة زيارة الحقيقة ومرجعتش من ساعتها، واتعودو على الموضوع دا لأنكم ح تسمعوه كتير، مش بعيد ناس منكم أنتو كمان مترجعش.

قالها خليل وهو يضحك ويستحسن ضحك المستمعين، وينظر إلى همهمات خلفية فيفهم في ثانية ما يحاك في صدورهم ويتهامسون به.

- آه أنا المدير، بس دي آخر مرة ح تسمعوها أو حتى ح تحسوها، ويمكن دا كويس علشان نبدأ بيه كلامنا، أنا عرفت من الترتيبات اللي

كنـت بحضرهـا لقدومكـم مـع النـادي إن دي أول مـرة ليكـم جميعًـا في دهـب.

وده الـلي خـلاني أسـتاذنكم في العـشر دقايـق دول لأن في حاجـات كتـير لازم تعرفوهـا، حتـى لـو كنتـم دخلتـم عـلى جوجـل أو سـمعتم مـن حـد أو قريتـم عـلى الفيـس بـوك عـن دهـب لكـن التجربـة الحقيقيـة هـي الـلي ح تعيشـوها وتحسـوها في الأربـع أيـام الـلي جايـين.

ثـم سـأل محمـود عامـل البوفيـه بالمقهـى أن يسـأل المجموعـة إذا كانت تـودُّ أن تـشرب أي مـشروب، ثـم عقَّـبَ قائـلًا:

- دهـب مـكان ليـه طبيعـة خاصـة بيـه، طبيعـة بكـر، عـلى الفطـرة زي مـا بيقولـو، واضـح إن حضراتكـم سـافرتوا كتـير بـره وجـوا مـصر فـأول حاجة أرجوكـم متقارنـوش دهـب بـأي مـكان تـاني في أي حتـة في العـالم؛ يعنـي مثـلًا شـوفو قـرب دهـب مـن شرم الشـيخ لكـن شـتان بـين الاتنـين.

والـلي بيجـي دهـب عـادة بيقلـب عـلى شرم ومـش بيروحهـا تـاني، و ح تعرفـو ليـه، هنـا البسـاطه بـكل أشـكالها، هنـا مافيـش صاحـب فنـدق ولا مديـر ولا المسـئول عـن النظافـة، كلنـا زي بعـض، بنلبـس نفـس اللبـس ونـاكل نفـس الأكل وبنسـهر في نفـس الأماكـن، ومـش هنـا يعنـي عندنـا في مـيرا أوتيـل، هنـا يعنـي دهـب.

أتحداكـم لـو عرفتـم هنـا حـد وقـال لكـم أنـا، هنـا احنـا بنقـول احنـا، منعرفـش مـين خريـج إيـه أو مـش خريـج، عنـده عربيـة إيـه، سـاكن فـين، ابـن عيلـة مـين، كل التابوهـات الـلي اتولدنـا وقدسـناها أكـتر مـن ديننـا مهـما كان هـو إيـه، ادبحـت عـلى حـدود دهـب.

هنـا مافيـش تقييـم، هنـا مافيـش مدينـة، هنا فيـه الأرض والسـما والبحر والجبـل وبنـي آدم كلهـم، عـلى مختلـف الديانـات والمعتقـدات، مـش مهـم تلبـس إيـه عـلى أد مـا مهـم أن يكـون اللبـس ده مريحـك، مـش مهـم تـاكل إيـه طالمـا جعـان وأدامـك أكل.

في دهب متفكرش كتير، هي عارفه إنت عوز إيه وح تلاقيه أدامك ومتسألش إزاي، لو معاك فلوس أو مش معاك ح تتبسط في دهب، لو جاي وعندك قرار مهم عوز تاخده ومش عارف ح ترجع من دهب عارف قرارك، لو جاي استرخاء ح تتبسط جدًّا، لو جاي عوز مزيكا وسهر ح تتبسط جدًّا، إزاي؟ ح تكتشفوا كل دا في الكام يوم اللي قاعدنهم واللي أؤكد لكم إنها بداية لرحلات جايه كتير لأن اللي بيجي دهب مرة عمرها ما بتكون آخر مرة أبدًا.

آخر حاجة عوز أقولها لكم، حاولوا تفصلو الأربع أيام دي بأي شكل، أغلب الأماكن كده كده مفيهاش اتصالات، ممكن تلقط السعودية، لكن هنا لما نرجع من رحلة كل يوم ح تلقوا شبكة، تاني حاجة أرجوكم التزموا بمواعيد الرحلات، وأنا سايب في كل أوضة الجدول بالثانية.

وكان خليل يتكلم والكلُّ مهتم حتى نظر إلى البحر وابتسم، فنظر الجميعُ إلى الموقع الذي ثبتت عينُ خليل فيه، فرأوا زوبعةً في الماء وأشياء تتحرك وتقترب من السطح شيئًا فشيئًا، حتى بَدَتْ كمجموعةٍ من الغطاسين في ملابسهم السوداء وأجهزتهم الثقيلة تحني ظهورهم وماسكات على الوجه تُخفي وجوههم تمامًا.

- بسم الله الرحمن الرحيم .. إيه دا ؟!

قالت لمياء في اندهاش واضح ومن خلفها تنظر كل المجموعة إلى هذا السرب الذي ظهر من الأعماق وبدأوا ينزحون إلى الشاطئ على بُعد خطوات منهم، تحرك أحد هؤلاء الغطاسين حتى جلس على صخرة أمامهم وجاء ولد صغير إليه فورًا كأنه يعرف تمامًا ماذا ينبغي له أن يفعل، فبدأ بمساعدة هذا الشخص على خلع أنبوبة الأكسجين من على ظهره وأخذ الماسك من يديه، فظهر لهم وجه سيدة في عقدها السادس.

وبدأت هي في خلع بدلتها فظهر لهم بياض وجهها الشاهق، ثم

أسـدلت شـعرها الرمـادي الطويـل لتجففـه قبـل أن تمسـكه مـن الخلـف وتعقـده خلـف عنقهـا بمشـبك كبـير وفي نفـس اللحظـة كان الولـد الصغـير يعطـي لهـا إحـدى المناشـف القطنيـة لتغطـي بهـا جسـدها وكانـت ترتـدي بدلـة سـباحة خاصـة بالغطاسـين.

كانـت المجموعـة مـا زالـت تحـدِّقُ بهـا وعـلى وجـه خليـل نفـس الابتسـامة عندمـا نظـرت إليهـم مبتسـمةً ومُرَحِّبَـةً بهـم بهـزةٍ بسـيطةٍ مـن رأسـها، قـال خليـل بصـوت عـالٍ بـه كثـير مـن الفخـر وهـو يتجـه ناحيتهـا:

- ميرا، دهب!

فقط هكذا بدون أي توضيح آخر!

وعندما وصل خليل إليها طبع قبلةً حانيةً على جبهتها وهو يقول:

- ده الجروب المصري بتاع نادي المعادي.

انفرجـت أسـارير مـيرا مـرة أخـرى وهـي ترحـب بهـم وتقـول في لغـة عربيـة سـليمة وواضحـة ولكنهـا لا تخلـو مـن لَكْنَـةٍ أجنبيـةٍ:

- لقـد ازدادت دهـب بهـاءً بحضوركـم، أهـلًا وسـهلًا، سـألتقي بكـم في تمـام السادسـة لنبـدأ معًـا أُولى رحلاتنـا الخلابـة وأعرفكـم عـلى دهـب كـما أعرفهـا أنـا.

سـأترككم مـع الخليـل ليكمـل مـا قـد بـدأه معكـم ثـم ترتاحـون في غرفكـم قليـلًا، لا تـترددوا في طلـب المسـاعدة مـن أيٍّ مـن الموجوديـن؛ فكلنـا في مـيرا أوتيـل تحـت خدمتكـم ليـل نهـار، وتذكـروا هـذه المقولـة حتـى نلتقـي.

الكنز في الرحلة

تركتهم ميرا بغموضها ودهشتهم وغابت بداخل الفندق، ما الذي شد انتباههم إليها هكذا؟ كلٌّ منهم تخيَّل أنَّ هذا إحساسه وحده، ولكنهم اكتشفوا فيما بعد أنَّ لقاء ميرا الأول أثَّر فيهم بشكلٍ عجيبٍ؛ دهشة مع إعجاب مع هزةٍ في القلب لا يعلمون مصدرها أو سببها.

كانت ميرا بالرغم من سنها الواضح ذات بنيانٍ رائعٍ، جسد ممشوق ورفيع يزيده طولها ظهورًا، شعر رمادي كثيف ناعم يصل إلى منتصف ظهرها.

عينان بلون البحر الهادئ تعطي وجها بريقًا عجيبًا، وأنف صغير مدقق يعلو شفتين رفيعتين حاملتين طابعَ حُسن غائر تحتهما ليس هذا فقط ما أدهش المجموعة، ليس جمالها الذي حافظت عليه وكأنها بنت العشرين، حتى إن أحدهم إن رآها من ظهرها لن يتوقع أبدًا أنها سيدة عجوز.

ليس بها ما يدل على عمرها إلا بعض التجاعيد التي تحاول قسرًا الظهور على جبينها وترسم بخطوط صغيرة ما حول عينيها وشفتيها، أو بعضٌ من العروق النافرة حول معصميها وحولها نقاط زرقاء صغيرة وحولها أخرى بلون أغمق من لون الجلد بقليل.

وليس أيضًا هذا فقط ما لفت أنظار المجموعة وأثار دهشتهم، هناك سِحْرٌ غريبٌ في ميرا كهذا الذي لمسوه في أول نظرة لهم إلى البحر والسماء وجبل دهب من خلفه!

حينما ينتهي قَدَرِي
يُمكنُ لنفخةِ رِيح أو قشَّةٍ
أن تكسرني،
أمَّا الآنَ.. فَأَنَا
أصلبُ من الحَجَرِ الصَّوانِ

أم البنات

اطـمأنَّ خليـل أنَّ كل أعضـاء المجموعـة الجديدة قد سـكنت في حُجراتهم وأعطاهـم سـاعتين للراحـة ومـن ثـمَّ بـدأ البرنامـج، واطـمأنَّ أنَّ كلَّ فـردٍ مـن أفـراد طاقـم الفنـدق في موقعـه ويقـوم بعملـه وكذلـك مـيرا، فخـرج للمـكان الأكـثر حبًّـا لقلبـه؛ محـلٍّ يبعـدُ عـن الفنـدق ببضـع خطـوات، محـل أم البنـات، أصغـر محـل بدهـب، يحتـلُّ زاويـةً عـلى المشـاية، عبـارة عـن مطبـخ مفتـوح وأمامـه أربـعُ مَنَاضِـدَ فقـط لا غـير، ولكنـه المعنـى الحقيقـي للـرزق، فعندمـا ينظـر اللـه إلى أحـد عبيـده بعـين الرضـا لا تسـأل كيـف ولا مـن أيـن!

كانـت تقـف في جلبابهـا الواسـع الفضفـاض وعـلى رأسـها طرحـة ملفوفـة عـلى شـكل العِمَّـةِ الصعيـدي، سـيدةٌ مصريـةٌ تخطَّـت الأربعـين بقليـل ممتلئـة الجسـد، فيهـا جـمال ربـاني وبـدون أي مسـاحيق تجميـل، يظهـر عليهـا الإعيـاء ولكنهـا تحمـد اللـه وتشـكر فضلـه في كل ثانيـة.

تقـف بجوارهـا فتـاة في الثامنـة عـشر ترتـدي بنطلونًـا فضفاضًـا مشـهورًا بدهـب وتيـشرت قطـن واسـع بكُـمٍّ وعـلى رأسـها طرحـة صغـيرة تظهـر مـن شـعرها أكـثر مـما تـداري.

ملامحهـا هادئـة بسـيطة وأيضًـا لا تسـتخدم أيًّـا مـن تلـك الألـوان التـي تضعهـا الفتيـات في مثـل سـنها، والواضـح أنهـا لم تضعهـا قـط.

وأمـام الطـاولات تقـف أخـرى أصغـر مـن أختهـا بثلاثـة أعـوام تُنَظِّفُهُـم وترتِّبُهـم؛ الصغـرى جميلـةٌ وشـعرها منسـدل ترفعـه بمشـبك شـعر وملامحها طفوليـة إلى حـد كبـير، ترتـدي أيضًـا بنطـالًا واسـعًا فضفاضًـا ملونًـا بألـوانٍ متداخلـةٍ وعليـه قميـص بنصـف كُـمٍّ ملـون أيضًـا، ألـوان البنطـال لا تمـت لألـوان القميـص بأيـة صلـة

- مساء الفل عليكم يا حلوين!

قالها خليل بابتسامته المعهودة وهو يُقبِّلُ البنات في خدهن ويذهب إلى السيدة الواقفة خلف رخامة المطبخ ويقبلها في منتصف رأسها بحنيِّةٍ وحب واضحين:

- أهلًا أهلًا أبو المجدعة كلها، إيه اخبارك النهارده؟ جم الجروب المصري؟

ترد عليه هدية التي اعتاد الجميع أن يسموها (دية) اختصارًا وتدليلًا

- آه يا ستي جم وسكنو خلاص وادامي نص ساعه وأرجع لهم علشان أظبَّط مع الشباب بداية برنامجهم، ح ينزلوا على ٦,٣٠ فقلت آجي تأكليني أي حاجة في السريع

- عيني ليك يا خِلَّة، ده أنت حبيبي.

ردت هدية بسرعة وهي تأمر ابنتها الكبرى بإعداد غداء عمها خليل، ووضعت كنكة القهوة على النار ونظرت له مبتسمة قائلة:

- قهوتك قبل الأكل أنا عارفة.

ثم خرجت بفنجان القهوه لتجلس بجنب خليل وهو يسألها:

- أمَّال فين بطة؟

فاطمة صغرى البنات والتي تبلغ من العمر اثني عشر عامًا وأكثرهن جمالًا وحيويةً وذكاءً.

- راحت يا سيدي مع عبده تغطس، مصممة تاخد الرخصة السنة دي مع إن عبده قال لها مش ح ينفع إلا السنة الجاية، بس تقول إيه بقه مجنونة بالغطس، والله بخاف عليهم التلاتة من الغطس دا!

قالتها هدية وهي تتنهد ويشعل لها خليل سيجارتها وترشف من فنجان قهوتها.

- يا حاجذَة إنتي بعد اللي شفتيه في حياتك دا كله وتقولي بخاف

؟! دا احنا اللي نخاف.

قالها خليل وهو يضحك.

- مهو علشان اللي شفته لازم أخاف يا أبو سارة، قولي صحيح مكلمتكش؟

يتغير وجه خليل وهو يهز برأسه ويطفئ سيجارته بعصبية قائلًا:

- لا.

كانت خديجة الابنة الكبرى تضع الأكل أمام خليل ما جعله يبتسم ثانية وهو يرى صحن الملوخيا برائحته النفَّاذة فيهلل من الفرحة

- الله الله، ملوخيا ورز بالشعيرية وفراخ محمرة!

والله الواحد مش عارف كان ح يعمل غيه من غيرك يا دية، أحلى أكل بيتي في دهب كلها، لا دهب إيه ، دا في مصر كلها والله، تسلم إيديكي يا ست الكل

قالها خليل وهو يمسك يديها الاثنتين ويقبلهما

ثم انهمك في الأكل وهو يردف قائلًا

- مش ح تقوليلي بقي إنتي رفضتي تكريم المحافظ ليكي ليه في عيد الأم؟

- بس يا خليل متفكرنيش، دا أنا زعلانة منك من ساعتها، بقي أنا بحاول أنسى اللي حصل لي وأنت تروح تبعت قصتي للمحافظة وتقول لهم دي الأم المثالية بجدارة، يا عم أنا لا عوزة تكريم ولا عوزة أقف أدام الناس واتاجر باللي حصل لي، أنا عوزه بس ربنا يكملها معايا بالستر وأقدر أربي البنات واطمن عليهم قبل ما أودع.

- وفمه مملوء بالرز والملوخيا رد قائلًا:

- متقوليش كده بعد الشر، والله إنتي تستهلي خير الدنيا كله يا أم البنات

نظرت هدية إلى البحر أمامها وسرحت وقالت في سرها:

- خير الدنيا كله؟ أين كان هذا الخير؟ ولماذا حدث ما حدث؟
ولكنها رجعت تتذكر حالها وحال بناتها الآن ثم تتمم:
- الحمد لله، الحمد لله!

وفي بوتقة الهجران..... يُبعثُ القلبُ
ويتطهَّرُ... ولو كان في الأصل مشبعًا بالإثم

ليلى

فتاة قاهرية ذات جمال عادي، مظهرها أثار استياء البعض من ملبس شبه عارٍ والحلي الكبيرة، مع قَصَّة شعر غريبة جدًّا فهي أكثرُ قصرًا من الأولاد. ليلى ذات الاثني والعشرين عامًا، هكذا كان عمرها على الورق ولكن هو أكثر بكثير في العالم الحقيقي.

عندما فهمت وبدأت الإدراك رأت أمها تنتقل من بيت لبيت، ومن زوج لزوج، عاشت طفولة أقل ما يقال عنها إنها تعيسة، لم تستقر في تعليمٍ من كثرة انتقالهما هي وأمها، ولم تستقر في طفولتها من كثره ما رأت من أزواج أمها، فاعتادت على الضرب وهي صغيرة.

أعمال البيت بِذُلٍّ وقهر، قلة طعام وبالطبع شح في الملبس والمأكل، وعندما اشتدَّ عودُها وكانت جميلة وذات جسد مثير، طمع فيها الداني والقاصي، ولم لا وهي المشردة من كل اتجاه؛ فقر وعوز وغياب أب وأسرة تحميها؟!

حتى عندما اشتكت لأمها أن زوجها الأخير قد بدأ بالتحرش اللفظي ومن ثمَّ الجسدي بها، لم تجد من أمها أي اعتراض، فقد ظهر السن عليها وفضلت الخنوع على أن تتنقل ثانية من زوج لزوج ومن بيت لبيت حتى هذا الذي أحبته ذات يوم بصدق واعتقدت أن الدنيا قد ضحكت لها أخيرًا وأنه ملاذها الأخير في النجاة، لم يكن أفضل حالًا من زوج أمها الأخير.

وعندما هربت من بيت أمها وذهبت إليه، وجدته قد عزم بها على أصدقائه، وأنها مجرد سلعة حسن استغلالها، حتى إنه كان يقبض منهم بعد أن يفرغوا منها، وينفق على مخدراته ومزاجه الشخصي.

إلى أن قررت الهروب الكبير، وذهبت إلى دهب، تحاول الطهارة من

إثـم لم يكـن لهـا يـدٌ فيـه، وكفـرت بـكل المبـادئ والقيـم، قـررت بعـد أن عملـت عنـد مـيرا أنـه لا حسـاب بعـد اليـوم، لا لهـا ولا للنـاس، تلبـس مـا يحلـو لهـا، فـماذا فعـل لهـا الملبـس الـذي يغطـي جسـدها وقـد كان متاحًـا للـكلاب؟! ولا شـعر يجملهـا، فقـد أحبـت القبـح عـن الجـمال، ولا سـيرة عطـرة تتذكرهـا، فقـد سـئمت الحيـاة.

مـن اليـوم سـتكون كـما تحلـو وتحـب وتشـعر، فليـس عليهـا سـلطان، ومـا بينهـا وبـين ربهـا علاقـة خاصـة فريـدة لا يجـب أن تعلنهـا أو تتاجـر بهـا، فليقبلهـا مـن يقبلهـا، وليرفضهـا مـن يرفضهـا، هـذا ليـس مـن أولوياتهـا في الحيـاة الآن، سـتعمل وتعمـل وتعمـل فقـط، في آخـر الليـل يغلـق عليهـا بابهـا في سـلام، وتنـام قريـرةَ العـين بـلا خـوف ولا ترقُّـبٍ ولا ألم.

عنـد قدومهـا إلى دهـب ومقابلتهـا مـيرا للمـرة الأولى حكـت لهـا مـيرا هـذه القصـة:

في يوم سأل شاب الحكيم الصيني عن (ما هي قيمة الحياة؟)

وبـدلًا مـن أن يجيبـه أعطـاه حجـرًا وقـال لـه: اذهـب إلى السـوق وحـاول بيعـه، وإذا سـألك أحـدٌ عـن ثمنـه لا تتكلـم، فقـط أشر بيـدك برقـم اثنـين, ذهـب الشـاب إلى السـوق وقابلتـه سـيدة اعجبـت بالحجـر وقالـت أريـد هـذا الحجـر لوضعـه في حديقتـي، كـم سـعره؟ فأشـار بالرقـم اثنـين بيـده.. فقالـت: دولاريـن؟ ساشـتريه.

فرجع الشاب إلى الحكيم وقال: سيدة عرضت شراءه بدولارين.

فقـال لـه الحكيـم: اذهـب إلى المتحـف وأيضًـا إن سـالك أحـد عـن سـعره لا تتكلـم، فقـط أشر بيديـك للرقـم اثنـين.

وذهـب الشـاب إلى المتحـف وأراد رجـل شراء الحجـر فرفـع الشـاب إصبعـين إشـارة إلى الرقـم اثنـين، فقـال لـه الرجـل: مائتـي دولار سأشـتريه، فرجـع الشـاب إلى الحكيـم فرحًـا قائـلًا: أراد رجـلٌ شراء الحجـر بمائتـي دولار، فقـال لـه الحكيـم: آخـر مـكان سأسـالك أن تذهـب إليـه هـو متجـر

الأحجار الكريمة، فذهب الشاب وعندما عرض الحجر على البائع شهق البائع وقال له: من أين أتيت بهذا

الحجر؟ إنه من أغلى الأحجار وأندرها، كم تريد سعرًا له، فرفع الشاب إصبعيه بالرقم اثنين، فقال له البائع: مائتي ألف دولار؟ سأشتريه فورًا.

فرجع الشاب إلى الحكيم مذهولًا، فقال له الحكيم:

- يا بني، هل تعلم قيمة الحياة الآن؟ أترى، لا يهم من أين أتيت، ولا اين ولدت، ولا ما هو لون بشرتك، ولا حجم ثروتك؛ ما يهم هو أن تقرر أين تضع نفسك، ومَن الناس الذين يجب أن يكونوا حولك، وكيف تختار قيمه نفسك؟

قد تكون قد عشت حياتك بأكملها تظن أنك حجر بقيمه دولارين، وربما عشت حياتك وسط أناس رأوا أن قيمتك هي دولارين فحسب، ولكن كل شخص منا يحمل مَاسَةً بداخله، ويمكننا اختيار أن نحيط أنفسنا بمن يرى قيمتنا، يرون الماسة التي بداخلنا.

يمكننا اختيار وضع أنفسنا في السوق أو في متجر الأحجار الكريمة، وكذلك يمكنك اختيار رؤية قيمة الآخرين، يمكنك مساعدة الآخرين لرؤية الماسة التي بداخلهم، أنت صاحب قرارك، اختر من تضع نفسك بينهم بحكمة، وقبلها قدِّرْ قيمة نفسك بنفسك.

كان هذا درس ليلى الأول مع ميرا، ومنذ تلك اللحظه قررت ليلى أن تضع نفسها بنفسها داخل متجر الأحجار الكريمة، شعرت بقيمتها وتعاملت مع الذين من حولها بهذا المنطق، لن أعلق مأساه حياتي على شماعة الزمن والبشر والظروف؛ فأنا أميرة متوجة، ما مضى قد مضى بمُرِّه ومُرِّهِ، واليوم صفحة جديدة في أرض جديدة وشخص جديد، وأنا الملكة.

البارحةُ ذكرى اليوم
والغدُ حُلمُهُ

أمُّ البنات

بعد أن خرج خليل من المطعم ليرجع إلى الفندق ويتابع المجموعة القادمة صباح هذا اليوم، وكان قد قبَّلَ يد هدية ورأسها وشكرها مع وعد أن يرجع إليها في المساء، بل قال لها أيضًا:

- دية، أنا نفسي أتعشى بليلة سخنة من إيديك النهارده، ممكن؟

تعجب أنها لم ترد عليه سوى بنصف ابتسامة عَلَتْهَا رَجْفَةٌ مُفَاجِئَةٌ مع تغيُّرٍ في ملامح وجهها، ولكنه لاستعجاله لم يتوقف لاستبيان الأمر!

عندما خرج خليل جلست هدية من فورها على أقرب كرسي وقد نكأت كلمة بليلة لديها جرحًا قديمًا عميقًا لم ولن يندمل العمر كله.

- هديتي، أنا عوز أتعشى بليلة سخنة من إيديك النهارده!

قالها أحمد وهو يقبل زوجته الشابة وهو خارج إلى عمله بعد أن مضى على زواجهما أسبوعان فقط، كم كانت فرحتها وهي تغلق الباب خلفه وتدور في سعادة بالغة تجوب شقتها الصغيره والتي ما زالت رائحة الطلاء الجديد نافذة من جدرانها، تنظر إلى عفشها البسيط المتواضع فتشعر أنها في قصر شديد الأناقة والجمال والبذخ.

هكذا كانت هدية الفتاة الريفية البسيطة والتي كبرت لتجد كهلًا وزوجته يربيانها في منزلهما الأشد عجزًا وقلة حيلة منهما، وعندما بدأت تفهم وتعي تَنَامَى إلى سمعها من رفقاء الكَفْر الذي ينتمون إليه بداخل هذه القرية النائية، أنها بنتٌ حرام ولقيطةٌ وجدوها على باب زاوية في أقصى القرية تستخدم للصلاة ويطلقون عليها مجازًا الجامع الصغير؛ ربما لضآلة حجمه وبعد مكانه، في فجر ليلة شتوية شديدة الظلام والبرد، وأن هذا الكهل الذي يُؤويها هو شيخ هذه الزاوية، وعندما لم يجد من يكفلها قرر هو وزوجته وخصوصًا أنهما لم يكن لهما أية ذرية أن يؤوياها ويربياها.

وذهب الشيخ إلى مكتب الصحة العمومي للبلدة وسمَّاها: هدية من الله، وكتب في خانة الأب: عبد الله، فأصبحت: هدية من الله عبد الله.

كان كل ما يشغله أن يزوجها بسرعة؛ فهو يعلم أن الوقت المتبقي له في هذه الحياة سواء هو أو زوجته ليس بالكثير وأنه ليس لديه بعد الله أحد؛ فهما كانا قد قدما إلى هذه القرية منذ زمن طويل ولم يتبق من عائلاتهما أحدٌ، ومَنْ ما زال على قيد الحياة من أبناء أبناء الأعمام والأخوال قد ذهبوا في غيابات الحياة ولم يعودوا.

انشغل الشيخ بالدعاء لله حتى يطمئن على هديته، بعد أن كانت بمثابة الشمعة التي أضاءت لهما حياتهما، ولما كانت زوجة الشيخ مشهورة بجمال طبخها وفنون وأسرار أجدادها، لم تجد سوى هدية الابنة المهداة إليها لتعطيها سرَّها وتعلمها منذ نعومة أظافرها، ولم يكن لديهم شغل آخر طوال اليوم، فقد منعها الشيخ من اللعب بالخارج مع الرفقاء بعد أن تنامى إلى سمعه أنهم قد بدأوا في إيلامها وتذكيرها بأنها لقيطة وُجدت على باب المسجد.

واهتم الشيخ العالم الدارس بحقٍّ لكتاب الله أن يُفهِّمَهَا ما تستطيع فَهْمَه على حسب مرحلتها العمرية، وكان يُكَثِّفُ من دروسه ويسترسل في كل قصة وأية مواضيع من واقع الحياة أو من خبراته، ويتكلم عن الأحوال العامة والبلاد والعباد، وإن كان يبدو أنه كما لو كان يعتذر لها عن عدم استطاعته إلحاقها بإحدى المدارس.

ليس فقط لضيق ذات اليد وإنما لبُعد الكَفر، وإشفاقه عليها من أن يتعقبها أحدٌ بفضيحتها فيخذلها أمام زملائها، فآثر السلامة وتكفل هو وزوجته بهذه المهمة والتي يبدو أنهما قد نجحا فيها نجاحًا كبيرًا.

أصبحت هدية وهي في السادسة عشر من عمرها تفهم وتعي أكثر من أندادها والذين يذهبون إلى الكُتَّاب في الكَفْر أو الذين يذهبون

إلى المدرسة في القرية، غير أنها اكتسبت من أمها الروحية، نفسها و مهارتها في الطبخ.

إلى أن كان يومٌ تذهب إلى السوق في الكَفر المجاور لشراء بعض المستلزمات الضرورية وخصوصًا بعد أن أعيا المرضُ والسنُّ الشيخَ الكبيرَ ولازمَ الفراشَ وأصبح لا يستطيع الحركة.

وعندما وقفت لشراء بعض الخضروات وجلست القرفصاء على الأرض لتنتقيَ حبَّاتِ الطماطم من السَّبَتِ الخُوص أمام هذه الفلاحة في السوق، وجدها أحمد عامل البناء والذي كان سِنُّهُ لا يتجاوز التاسعة عشر ربيعًا ويعمل في بناء عقار في منتصف السوق، وجدها وقد تربعت بنفس جلستها في قلبه.

ترك السَّقَّالةَ التي كان يعتليها ووجد نفسه يسير خلفها بلا تفكير، عرف المنزل لكنه لم يستجر أن يسأل أحدًا عن ساكنيه، وطول طريق العوده كان يدعو الله أن يجعل هذه الفتاة من نصيبه؛ هكذا هو الحب عندما يصيب القلب مرة واحدة بدون استئذان!

أحمد كان أصغر إخوته الثلاثة، مات عائلهم منذ صغرهم وهرمت الأم من قسوه الأقارب وقلة الحيلة وذات اليد ولم تجد سوى الفُتات لتطعم به صغارها، فما كان منهم إلا أن اتجهوا إلى العمل في شتي المجالات التي تُطعن فيها الطفولةُ حتى الموت؛ عملوا صِبْيَةً في مقاهٍ وورشٍ كثيرة.

وكانت القروش القليلة التي يحصلون عليها يلقون بها في يد الأم مساءً فتتولى هي الإنفاق والذي كان كله في بند الطعام فقط، فاعتادو على أن المرض والملبس من مترفات الحياة التي لا حيلة لهم بها ولا يطيقونها.

كانت طفولة شاقة وقاسية جدًّا وخصوصًا على الأختين الكبريين، ونال أحمد كذلك صعوبتها ولكن بصورة أقل، فنشأ أكثرهم رحمةً وعطفًا.

بعد عدة سنوات وبعد وفاة الأم تخصَّصَ الثلاثةُ في أعمال البناء لدى مقاول مشهور وبدأت الحياة تفتح لهم ذراعيها ببطء؛ تزوج الكبير وجاء بزوجته في نفس الحوش الذي يسكنون فيه جميعًا وبنى جدارًا بطوبٍ لبني ليفصِّلَ له ما يشبه الحجرة له ولزوجته.

عندما جاءهم أحمد مساءً يحكي لهم ما حدث وأنه يريدهما للذهاب معه لخطبة هذه الفتاة، نُهرَ واتُّهمَ بالجنون ولكنه لم ييأس، وكان يذهب كثيرًا إلى بيتها يحاول أن يراها أو يكلمها، ودعا الله كثيرًا أن يهدئ من روع إخوته أو يجعل له مخرجًا، حتى جاء محمود الأخ الأكبر إليهم ذات ليلة يخبرهم أنَّ المعلم الذي يعلمون لديه يريدهم أن يسافروا إلى ليبيا للعمل في مشروع ضخم أخذه هناك، وأن هذا العقد سوف يفتح لهم أبواب الجنة، وأنهم أخيرًا سوف تضحك لهم الدنيا.

فاستغل أحمد هذه الفرصة ليضغط على أخويه لكي يتقدم إلى خطبة فتاته هذه ويأخذها معه، وتبدأ حياة جديدة لهم جميعًا، بعد ضغط وافق الأخوان وذهبا إلى البيت الذي أرشدهم إليه أحمد، فتحت هدية وهي لا تعلم نهائيًا أيًّا من الثلاثة الواقفين على الباب يطلبون رؤية صاحب المنزل.

أحداثٌ طويلةٌ مرت بعد هذه الليله ما بين غضب وخناق بعد أن اختلى الجد بالأخ الكبير شارحًا له كل شيء عن هدية، ولم يغير هذا شيئًا من حب وشغف أحمد بها.

ولما كان موعد سفرهم قد أَزِفَ ويجب إنجاز كافة الترتيبات وبيع الحوش لتجهيز الأوراق وافق الأخَوَان على الزيجة على أن يتنازل لهما أحمد عن نصيبه في بيع الحوش ويتصرف هو في كل أمور الزواج وسفره هو وزوجته.

وبالرغم من الإحجاف في الطلب إلا أنه وافق فورًا؛ فقد كان على

أتـم الاسـتعداد لفعـل أي شيء ليتـزوج تلـك التـي وقـع حبهـا في قلبـه مـن أول لحظـة.

لم يكـن للشـيخ أيـة طلبـات لأنـه يعـرف أن هـذه الزيجـة هـي مـن عنـد اللـه لأنـه كان يدعـو بهـا ليـل نهـار خشـية أن يحـدث لـه مكـروه وتتـشرد هـذه الشـابة مـن بعـده، تكفـل المعلـم صاحـب العمـل والـذي كان يحـب أحمـد وكان أرحـم عليـه مـن إخوتـه بتكاليـف كَتْـبِ الكتـاب وكافـة الإجـراءت لاسـتخراج تصاريـح السـفر والجـوازات وكافـة كل شيء، بـل إنـه عنـد وصولهـم إلى ليبيـا وجـد المعلـم قـد اختصـه بحجـرة جاهـزة مبنيـة عـلى طـرف المـشروع، ورغـم صغرهـا وفقـر أثاثهـا إلا أنهـا كانـت قـصرًا بالنسـبه لكليهـما.

كـما وقـع أحمـد في حـب هديـة وقعـت هـي في غرامـه؛ كانـت قصـة حبهـما مسـار غضـب وحنـق أخويـه بـدون أن يسـتجليَ هـو السـببَ، فـما كان منـه إلا أن يُبعـد هديـة عنهـما وعـن زوجـة الأخ الأكبر بعدمـا لا سـيما وأنهـا باتـت تسـخر منهـما ومـن ظروفهـما بشـكل فـج!

كانـت غريبـةً جـدًّا؛ لم تكـن تُكِـنُّ أيـةَ مشـاعرَ كُـرْهٍ أو غضـب أو حقـد عـلى أحـد، اسـتغربها أحمـد ذات يـوم بعـد أن نالهـا مـن سـلفتها وأخـي زوجهـا الكثـيرَ ووجدهـا لا تـرد، وعندمـا رجعـا إلى بيتهـما، لم تبـد أيًّـا مـن الغضـب أو الخنـاق، فسـألها هـل هـذا طبيعـي أن لا تغضبـي؟ فقالـت وقـد كانـت صادقـة فيـما تقـول:

- تفتكـر يـا أحمـد بعـد الـلي حصـل لي في حيـاتي وفرحتـي بوجـودك وبحبـك ممكـن أي شيء في الدنيـا يخليني أزعـل ولـو ثانيـة، د أنـا أبقـى جاحـدة!

كانـت حياتهـما بالرغـم مـن صعوبتهـا إلا أنَّ حبهـما كان كفيـلًا بإذابة أي عوائـق، وقبـل نهايـة السـنة الأولى كانـت خديجـة الابنـة الكـبرى قـد شرفـت فزادتهـم إشراقًـا وبهجـةً، وقـد أتـت ومعهـا خـير كثـير؛ فقـد كـبر المـشروع

وزاد، وبـدأت الأمـوال تجـري في أيـدي الإخـوة الثلاثـة، وأصبـح لـدى كلٍّ منهـم شـقته في إحـدى عـمارات المـشروع وجهزوهـا بجهـاز مناسـب، وتـزوج الأخ الثالـث حسـن مـن سـيدة ليبيـة مطلقـة تكـبره سـنًّا، وتـرك عـمارة إخوتـه وذهـب ليقطـن معهـا في شـقتها.

مـرت الأيـام بهـم بسرعـة ومـضى لهـم عـشرون عامًـا في ليبيـا لم يرجعـوا فيهـا إلى مـصر ولا مـرة واحـدة، وكانـت هديـة قـد أنجبـت زينـب وبعدهـا بثـلاث سـنوات فاطمـة، ومـن شـدة طيبتهـا كانـت لا تفقـه شـيئًا في الحيـاة سـوى بيتهـا وزوجهـا وبناتهـا الثـلاث.

وكانـت تواجههـم بعـض العواصـف مثـل زيجـة أخيـه مـن الليبيـة والتي كادت أن تقـضي عليهـم وعـلى وجودهـم بالبلـد فاضطـروا إلى اسـتقصاء جـزء كبـير مـن تحويشـة عمرهـم لدفعـه إلى هـذه السـيدة حتـى لا تَـزُجَّ بأخيهـم في السـجن وتطردهـم جميعًـا مـن البلـد كلهـا، جـراء خلافـات بينـه وبينهـا ودخولهـم في شراكـة معهـا بغشـاوة فكسـبت السـيدة والتـي بـات واضحًـا أنهـا كانـت تعـرف مـاذا تفعـل مـن البدايـة.

ولم تَخْـلُ بهـم الحيـاة مـن مـآزق كان أحمـد يتطـوع وينقـذ إخوتـه الكبـار منهـا فـورًا، حتـى إنـه في إحـدى المـرات طلـب مـن هديـة ذَهَبهـا لبيعـه ومسـاعدة أخيـه الأكـبر مـن مشـكلة شـيكات كتبهـا عـلى نفسـه فلـم تمانـع ولم تسـأله إذا كانـت زوجتـه قـد باعـت ذهبهـا أيضًـا!

مضـت الحيـاه بهـم بحلوهـا وحلوهـا فقـد كانت حياتهـم مثـار حكايات المصريـن بليبيـا، مـن حسـن أخلاقهـم وجودهـما وجـمال بناتهـم وأخلاقهـن، مـا أثـار غـيرة وحفيظـة الأخ الأكـبر وزوجتـه، والأخ الأوسـط وكل زيجاتـه الفاشـلة حتـى هـذا الوقـت.

حتـى كان اليـوم الـذي رجـع فيـه أحمـد مـن عملـه يتصبـب عرقًـا ووجهـه مصفـر ويمسـك كتفيـه مـن شـدة الألم، صرخ إلى هديـة وبمجـرد أن فتحـت البـاب حتـى سـقط عـلى الأرض، جـرى البنـات يصرخـن عـلى

أعمامهـن، وسـندت هديـة أحمـد إلى أقـرب كنبـة، اسـتند إليهـا وهـو يضـع كَفَّـهُ عـلى وجههـا وينظـر إليهـا قائـلًا:

- هدية، أنا بموت.

ووضع يديه على فَمِهَا حتى لا تقاطعه:

- أنـا عـوز أدفـن في مـصر، اوعـي تخليهـم يدفنـوني هنـا، ومتزعليـش عـليَّ.

قال بصوت ضعيف، وأخذ نَفَسًا بصعوبةٍ وهو يقول:

- أنـا راضي عنـك، والسـنين الـلي عشـتها معـاكي تكفينـي سـعادة دنيـا وآخـرة.

ثم أغمض عينيه وهو يقول بصوت يكاد يخرج:

- خلي بالك من البنات.

لم تنتبه هدية إلا إلى يد ابنته الكبرى تهز في كتفها قائلة:

- إيه يا حاجة بقالي ساعة بنده عليكي، رحتي فين؟

فترجـع هديـة مـن قطـار الذكريـات الـذي عصـف بهـا فجـاةً وعيناهـا اغرورقـت بالدمـوع، فتفهـم ابنتهـا عـلى الفـور مـا قـد حـلَّ بهـا، فتأخذهـا في حضنهـا وتربـت عليهـا قائلـة:

- تاني يا دية تاني، ما خلاص بقي، ما احنا كويسين أهو وزي الفل.

تنظـر إليهـا هديـة ومـا زالـت كلمـة زوجهـا الأخـيره تـرنُّ في أذنيهـا وملامـح وجهـه وهـو يطلـب منهـا أن ترعـى البنـات حـقَّ الرعاية، فتنسـكب الدمـوع مـن عينيهـا شـلالًا:

- يـا خديجـة يـا بنتـي ريحينـي اللـه يخليـكي، وارجعـي عـن الـلي في دماغـك إنتـي واختـك ده.

تسالها في عطف وذلةٍ من بين وسط دموعها:

- ماما، اللـه يخليـك انتـي، انـسي بقـى أرجـوكي، إحنـا قررنـا خـلاص وأقنعنـاكي، وخليـل لما حكّمتيـه مـا بينـا قـال لـك هـما صـح وعندهـم حـق،

ومـش مـيرا السـبب يـا ماما واللـه مـش مـيرا السـبب، دا قررنـا واحنـا مقتنعـين بيـه، وانتـي اسـتريحي، انتـي مقصرتيـش معانـا في شيء، أرجـوكي بقـي، فـكك مـن الحـوار دا، إشـطه بقـي ؟؟

- إشطه يا غلباوية!

قالتهـا هديـة وهـي تضحـك وتمسـح دموعهـا، وتقـوم لتجهيـز وجبـات العشـاء، فالمسـاء قـد اقـترب.

حين لا نجدُ الراحةَ في ذواتنا
لن يجديَ أن نبحثَ عنها
في مكانٍ آخر

في الغرفة الأولى
كانت تقطن صفاء وإبتسام وسلمى
الغرفه رقم (1)

- يـا ماما أرجـوكي متزعقيـش، مافيـش حاجـه تسـتدعي كل ده، علشـان خاطـري احنـا اتفقنـا نيجـي الرحلـة دي علشـان نهـدي أعصابنـا كلنـا، وأنـا وافقـت عليهـا علشـان السـبب ده بـس. قالـت إبتسـام وهـي تضـع أغراضها وملابسـها في الـدولاب الخـاص بهـم.

- مـش عـوزني أزعـق بعـد الأرف دا كلـه! ٨ سـاعات في أتوبيـس، وأوتيـل حقـير معفـن، أوف، إيـه دااا، أنـا صفـاء هانـم الدغيـدي بنـت الباشـوات أنـزل في أوتيـل زي ده؟ ده محصَّلـش بنسـيون في العتبـة.

- وحضرتـك شـفتي بنسـيون العتبـة فـين؟؟ سـألتها إبتسـام وهـي تحـاول أن تهـدئ مـن روعهـا قليـلًا.

- في الأفلام طبعًا، أنا بعد أفخم أوتيلات أوروبا وأمريكا أنزل هنا؟!

قالتهـا صفـاء وهـي في شـدة العصبيـة وتخـرج علبـة سـجائرها مـن شـنطتها (اللـوي فيتـون) والتـي تسـاوي عـدة آلاف مـن الجنيهـات وتخـرج إلى الشرفـة المطلـة عـلى البحـر، فيتعلـق نظرُهـا بالمنظـر الـذي أمامهـا، فتجلـسُ مشـدودةً وعـلى وجههـا دهشـةٌ اعتلتـه.

كانـت السـاعة تقـترب مـن الخامسـة والشـمس قـد ذهبـت للحديـث مـع الجبـل عـن قـرب قبـل أن تُلَمْلِـمَ أشـعتها الذهبيـةَ وتذهـب إلى مخدعها في ميعادهـا اليومـي الثابـت، فظهـرت الريـاح البسـيطة الخفيفـة تلهـو مـع صديقهـا اللـدود البحـر مسـتغلةً انشـغال الشـمس في حديثهـا، فأخـذت تلاعـب البحـر وتجـري وراء أمواجـه، فَيُخـرجُ يُـودَه برائحتـه النفَّـاذه فتستشـيط الأخـيرة غضبًـا فتتحـرك تحـاول أن تغلبـه، مـما أعطـى الجـوَّ في هـذا التوقيـت سِـحْرًا خاصًّـا يُدخـل عـلى القلـوب راحـةً وعبقًـا مثـيرًا.

جـوٌّ خـلَّابٌ تشـعر بـه في كل نَفَـسٍ تستنشـقه فيدخـل رئتيـك مُحدثًـا تاثـيرًا يُشـعرك براحـة نفسـية عميقـة، تجـد تـردد كلمـة سـبحان اللـه تجـري عـلى لسـانك بـدون أن يأمـره العقـل بهـذا؛ فهـو رد فعـل طبيعـي وسريـع للمنظـر أسرع مـن أن يسـتوعبه عقلـك أولًا.

هـدأت صفـاء كثـيرًا، بـل إنهـا لم تنتبـه إلى أنَّ رمـاد السـيجارة قـد وقـع عـلى قدميهـا بـدون أن تأخـذ منهـا نفسًـا واحـدًا!

في داخـل الغرفـة، دخلـت سـلمى الحفيـدة ذات الثامنـة عـشر ربيعًـا، والتـي تفـوق أمهـا إبتسـام وجدتهـا صفـاء جـمالًا تركيًّـا واضحًـا عنهـما، وتفوقهـما أيضًـا هـدوءًا وصـبرًا:

- مامـي، أنـا فـين؟ سـالتها سـلمى وهـي تبـدأ في خلـع حذائهـا الريـاضي، وتلقـي بجسـدها الصغـير عـلى الفـراش في خفـة:

- قاعدة في التراس حبيبتي، عملتي إيه؟

سـألتها إبتسـام وهـي تضـع الحقيبـة التـي افرغـت محتوياتهـا منـذ لحظـات بجانـب البـاب.

- مشـيت شـويه عـلى البحـر، تحفـة يـا مامـي لازم تجـي معـاي، وشـفت المحـلات القريبـة ولقيـت سـوبر ماركـت فيـه كل حاجـة ممكـن نحتاجهـا وأغلبهـا مسـتوردة، آه وجبـت لـك شـوكولاتة مـن الـلي بتحبيهـا. قالـت سـلمى وهـي تُخـرج قالـب الحلـوى مـن حقيبتهـا وتمـد بيديهـا بـه إلى أمهـا.

- لا حبيبتي أنا مش عوزة، كليه إنتي.

ردت عليهـا إبتسـام وهـي تنظـر إلى أمهـا والتـي مـا زالـت تنظـر إلى البحـر في ذهـول واضـح وكأنهـا في عـالم آخـر.

صفاء

سيدة تخطت الستين من عمرها بقليل، من عائلة ثَرِيَّةٌ عريقةٌ، ذات جاهٍ وجمال لم يُخْفِهِ الزمانُ، شديدة الأناقه والصرامة في نفس الوقت.

تزوجت من ابن عمها بعد أن أنهت دراستها الثانوية الفرنسية، وصمم والداها على عدم إكمالها لتعليمها الجامعي؛ فهي بنت عائلة كما كانوا يقولون وليس لها سوى بيتها وزوجها، وكأنه ترتيب مسبق محسوب منذ القدم؛ فالدُور والأرض التي يقطنونها في المنصوره ملك لهم.

وكان الدَّور الآن على ابن عمها الأوسط، سعيد والذي كان ضابطًا بالجيش المصري في سلاح الطيران، وكان يكبرها بخمسة عشر عامًا، لم يعرف الحب ولا العاطفة قربًا له، ككل عائلة الدغيدي.

وبالرغم من أنه كان لهم بيت في عِزبة العائلة مجهز إلا أنه وبعد زواج تقليدي انتقلت صفاء التي لم تبلغ العشرين بعدُ لشقةٍ إيجار في حي المعادي الشهير آنذاك بسكن الطبقة العليا بمصر، وذلك لقربه من محل عمل زوجها بالقاهرة، أنجبت بعد أقل من عامٍ ابنتها الوحيدة إبتسام.

ترملت صفاء في سن صغيرة ولكنها صمتت على أن تكمل تربية ابنتها في مسكنها المؤجر ورفضت أن ترجع بها إلى البلدة أو أن تتزوج من أحد أبناء عمومتها الآخرين.

ولم تعلم من أين استمدت قوتها هذه، هل لأن أبوها قد مات بعد زوجها؟ أم أنَّ قوة طبع زوجها قد انتقلت إليها؟ أم انَّ الزمن لم ينس أن يحفر على وجهها إحدى علاماته بجانب تجاعيد قلبها الواضحة؟!

يقال إنه عندما يموت الحب تموت معه الروح، ويظل الجسد يحيا حياة بلا طعم أو لون، فيتجسد بشكل تقليدي كأنه لوحة صماء، الحب هو الذي يروي الجسد و يجعل كل أعضائه تنمو نموًّا صحيًّا بالغَ الثراء.

فإذا مات الحب أو قتل كحالة صفاء عن عمد، تجد أنَّ الجسد يظهر كمريض يحاول الانتحار من شدة يأسه من الشفاء، فيأخذ شكلًا عدوانيًّا لا يعرف مصدره يسيطر على كل انفعالاته وأحكامه.

كانت سيدة شديده العصبية، هشَّة منكسرة تختبئ خلف قناع من الصرامة و السوداوية حتى لا يظهر انكسارها، ترتدي قناع الأرستقراطية وتعيش به حتى في أحلامها خشية أن تظهر للناس ضعفها، مما زادها عجرفةً فارغةً وغطرسةً أبعدت عنها الكثيرين.

كانت طفولتها صعبة في ظل عائلة تؤمن بتقاليد ونظام خاص بهم أكثر من إيمانها بالله؛فالبنت ليس لها رأي، ليس لها ميراث، البنت سُبَّةٌ في جبين العائلة إذا خرجت عن طوعهم، حتى بعض الدروس التي كانت تفرضها عليها من تعلم البيانو أو الإتيكيت أو ما شابه، ما هو إلا مظهر من مظاهر الأرستقراطية ليس إلا، وزواجهن من أبناء عمومتهن متوارث في عائلة الدغيدي منذ القدم.

وفي سن المراهقة كانت صفاء شديدة الرومانسية، حين بدأت في قراءة الروايات العاطفية بالفرنسية أو بالعربية لإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي، أو عندما كانت تشاهد أفلام فاتن حمامة وعمر الشريف في أيام الخميس وفي الوقت المحدد لها هي وبنات العائلة.

بَنَت صفاء آمالًا وأحلامًا كثيرةً على زواجها من ابن عمها والتي تغاضت عن فرق السن الكبير بينهما ولكن كونه ضابطًا في الجيش يأتي يتبختر بزيِّه العسكري فيعجب كل البنات في البلد وفي العائلة، وسيم ومثقف وبالتأكيد سينقذها من تقاليد العائلة ويخرجها من

بوتقتهـا وتقاليدهـا.

رأت نفسـها شـادية ورأتـه رشـدي أباظـه في فيلـم (الزوجـه ١٣)، بعـد أن أحبتـه وجعلتـه يتغـير مـن أجلهـا. ولكنهـا فوجئـت بنفسـها ماجـدة ويحيـي شـاهين في فيلـم (أيـن عمـري؟) فقـد كان مثـل عزيـز بطـل الفيلـم؛ غـيرة وتسـلطًا وقسـوةً.

لم يشـفع لهـا حتـى كونهـا بنـت عمـه، ولم يكـن غـير صـورة أخـرى مـن أبيهـا وكل أولاد الدغايـدة.

الإنسانيَّةُ هي
ألا يتم التضحيةُ بإنسانٍ
في سبيلِ غايةٍ

نجوى

في الغرفه رقم ٢ كانت حنان تحاول أن تُهدئ من روع نجوى قليلًا:

- يا ستي إنتي مالك قلقانة كده ليه؟ مش احنا قلنا جينا هنا نفصل شوية، اهدي بقى ويلا نفضي الشنط وننزل نستكشف المكان، لسه ساعة على الميعاد اللي ح نتجمع فيه.

نظرت لها نجوى وهي تحاول أن تُخفيَ دمعة حاولت أن تنزل قسرًا، وقالت:

- مش لدرجه إنها ترد عليَّ كدة، ولا كأني أمها وسافرت يعني، دي أول مرة في حياتي أسيبهم.

- ما أنا قلت لك يا نوجا، إنتي محتاجة تقعدي مع نفسك وتشوفي إيه المشكلة، إنتي من وجهة نظرك أم مثالية، فانية حياتها لأولادها، وإنتي فاكرة إنك كده بتسعديهم، مش ممكن تكوني غلطانة، مش ممكن يكون حبك وخوفك الزيادة ده غلط عليهم وعليكي، قلقك المستمر، تفكيرك فيهم كل لحظة وكل ثانية، ممكن يكون خنقهم.

شردت نجوى قليلًا تفكر فيما قالته لها حنان للتو.

نجوى أم لأربعة أبناء بنتين وولدين، تتراوح أعمارهم من الثانية عشر إلى الثانية والعشرين، تزوجت زواجًا عن قصه حب بينها وبين زميلها في العمل، زوجها والذي كان يكبرها بثلاثة أعوام.

فضَّلَت ترك عملها في أحد البنوك الكبيرة لتتفرغ للبيت والأولاد الذين بدأوا في القدوم بعد أول سنة زواج بالرغم من تفوقها الواضح وذكائها المُلْفِتِ في عالم الحسابات حتى إنها كادت أن تتفوق على زوجها وتترقى لتصبح مديرته، لكنها تحجَّجت بالحمل ومتاعبه وآثرت السلامة ولم تندم.

ثلاثـة وعـشرون عامًـا لم تنـدم فيهـا عـلى إهمالهـا في نفسـها إرضـاء للبيـت والـزوج والأولاد، كانـت لا تطلـب أي شيء لنفسـها، ولا يهمهـا سـوى إظهـار تفانيهـا العجيـب لهـم، كانـت عـلى مـر السـنين لم تشـعر بأنهـا قـد خـسرت أي شيء.

مقتنعـة أنَّ هـذه رسـالتها في الحيـاة ويجـب أن تكملهـا عـلى أكمـل وجـه، ولكنهـا فوجئـت بـأنَّ مـردود هـذا عـلى زوجهـا وأولاده كان بالعكـس تمامًـا.

عندمـا بـدأ الجميـع في كَيـل الاتهـام لهـا بالخنقـة والتضييـق عليهـم ومحاصرتهـم بالأسـئله ليـل نهـار، كـما لاحظـت عـزوف زوجهـا الجسـدي عنهـا بـدون مـبرر مـن وجهـة نظرهـا بـل بـدأت شـكها في أن يكـون عـلى علاقـة بغيرهـا.

ضاقـت بهـا الحيـاة في الفـترة الأخـيرة حتـى شـعرت بقـرب الانهيـار النفـسي، فبعـد كل هـذه السـنوات وكل هـذا التعـب والتفـاني يكـون هـذا جزاءهـا، حتـى كانـت ذات يـوم في النـادي صباحًـا وفوجئـت بالإعـلان عـن الرحلـة، وشـجعتها حنـان صديقتهـا المقربـة بـأن تذهبـا سـويًّا، وقـد كان.

غـير أنَّ مـا حـدث الآن وردَّ ابنتهـا الكـبرى عليهـا بجفـاء وهـي التـي كانـت تنتظـر أنَّ تجـد اللهفـة والشـوق إليهـا بعـد فقـط عـدة سـاعات منـذ نزولهـا مـن البيـت إلى أن وصلـت إلى دهـب.

- إيـه يـا ماما .. إنـت لحقتـي تتصـلي وتسـألي وتقـولي لي تـاني كل النصائـح الـلي بقالـك أسـبوع بتحفظينـي فيهـم، فـكك منـا بقـى والنبـي شـوية، وحـاولي تنسـينا وفكـري في نفسـك يـا سـتي شـوية، احنـا مبقنـاش عيـال صغـيره خايفـة عليهـم، إحنـا كبـار وبنعـرف نتـصرف.

قالتهـا ابنتهـا في حـدَّةٍ، وإن كانـت هـي تقصـد خـيرًا لأمهـا، ولكـنَّ نجوى أخذتهـا بمحمـل سـيئ كـما تأخـذ كل كلمة وتـصرفٍ في الآونـة الأخيرة.

كلُّ ماءِ البحرِ لن يستطيعِ أنْ يُغرقَ سفينةً إلا إذا نفذ إلى داخلها
بنفس الشكل سلبية العالم كله لن تستطيع أن تسقطك إلا إذا سمحت لها أن تنفذَ إلى داخلك

أم البنات

ظلت عينها معلقة بالبحر بعد أن فرغت من تحضير كل وجبات العشاء المطلوبة منها هذا اليوم، وكذلك تحضير الأصناف الخاصة بلائحة الطعام المعلقة على الباب، وأخذت فنجان قهوتها وعلبة سجائرها وذهبت للجلوس على حافة السور المقابل لمحلها والمطل مباشرة على البحر.

فهي ومنذ قدومها لدهب منذ ثلاثة أعوام وهي تجلس في نفس المكان وفي نفس التوقيت، قُبالة الغروب بقليل، لها حديث خاص معه، وينتظرها هو في كل حالته، عند صفائه وعند غضبه، في تقبله لحديثها واحتوائه لها، وفي غضبه ممن أذوها وحزنه عليها.

ينتظرها بشغف وحب كما تحضر هي إليه في صيفها وشتائها، ميعاد حددته عند حديثهما الأول وعهد اتخذته على نفسها تحت أية ظروف لا تتخلى عنه، يعلم بالموعد بناتها وخليل، ويضحكون عندما يقولون لها:

- يالا يا هدهد، ميعاد الجو قرب.

عندما خطت رجلها دهب هي وبناتها الثلاث منذ ثلاث سنوات كانت لا تزال بملابس الحداد على زوجها الذي لم يكمل بعد عامه الأربعين، تتذكر جيدًا هذه الأيام بسوادها سواء في الملابس أو في القلوب وما ظهر منها.

بعد أن صمَّمت في عزٍّ ما كانت تبكي الحبيب، وتترجى الإخوة الاثنين بأن يُنفذا وصيته الأخيرة بدفنه في مصر، وبعد رفضهما التام حتى إن الكبير نهرها أمام بناتها وقال في غضب لا يمتُّ للحزن على الفقيد بشيء:

- انتي عارفة تكلفة الموضوع ده إيه؟ انتي اتجننتي؟

ولكنه سرعان ما سحبه الأخ الأوسط ليدخل به إلى إحدى الحجرات ويخرج بعدها وهو يقول:

- طيب خلاص أنا موافق طالما دي كانت وصية المرحوم، بس اعملي حسابك تيجي انتي والبنات معانا، علشان توصلوه، دي الأصول.

لم تكن تفكر في لحظتها أو تفقه ما يجري من حولها، كيف أن زوجة الكبير قد دخلت إلى حجرتها هي والبنات لتجهز لهم بعض الملابس القليلة والتي ترجمتها في لحظتها أنها بنت أصول بالرغم مما بدر منها على مدى السنوات السابقة، ولكن المعادن الحقيقه تظهر في تلك المواقف.

ضحكت في سرها قليلًا وهي تشعل سيجارة أخرى بعد أن دهست اختها منذ قليل على إحدى الصخور القريبة من جلستها،

ترجع إلى شريط ذكرياتها والتي لم يغب لحظة واحدة عن بالها منذ حدوثه.

استأجر الأخ الكبير إحدى العربات واتفق مع السائق بعد أن دسَّ في يديه الكثير من الجنيهات، وركبت هي والبنات بداخل العربة والمسجى حبيبها وأبوهم في منظر تقشعر له الأبدان؛ فلا غسل ولا كفن ولكنه نائم في الخلف وهن يجلسن أمامه يبكين فقط بدون صوت حتى لا يُلْفِتْنَ أنظارَ اللجان الكثيرة التي مررن عليها.

لا تعلم كم من الوقت قد مرَّ ولا تعلم كيف وصلت إلى إحدى مقابر الصدقة في مقابر (المنارة) بالإسكندرية، والتي كان الأخ الكبير قد تحدث مع البعض وجهَّزَ كل شيء، بعد أن أخذوه كما هو، غاب لفترة وهُم بالعربة, وأتى يخبرها أنه قد غسَّله وكفَّنه وصلُّوا عليه وتم دفنه وانتهى كل شيء.

لم تسأل أو تستفسر عن أي شيء؛ لا كيف ولا أين ولا لماذا؟ لم تكن موجوده حتى في الصلاة عليه، كانت في حالة من الذهول والجهل والخوف والصدمة، لتفاجأ بعد قليل بالعربة تسير قليلًا لتقف بجوار منزل قديم في حي قديم علمت فيما بعد أنه يُسمى الأنفوشي.

طلب منها الأخ الأكبر بأن تنزل هي والبنات، ودخلوا إلى شقة صغيرة ذكرتها بشقتها الأولى التي تزوجت بها، وقال لها إنه سيحضر لهن بعض الطعام ويتركهن ليأتي إليهن غدًا في الصباح حيث إنه لا يصح أن يبيت معهن بنفس الشقة.

وأتى الصباح وهو لم يأت، لا هذا الصباح ولا أي صباح آخر.

تتذكر هدية كيف أنها كلمته على هاتفه المحمول هو والأخ الآخر وزوجته التي كذبت نفسها وهي تحسن الظن بها عندما أحضرت لها بعض الملابس هي وبناتها ووقفت تبكي زوجها وهم يحملونه للعربة وتشد على يديها، كانت دموعها أشد كذبًا من دموع تمساح، وكانت مساعدتها لها هي خلاص منهن بأبسط الأشياء بالفعل.

تذكرت فجأةً أنها لا تحمل هي وبناتها أي شيء، ملابس قليلة، هواتف نقالة، سلسلة ذهبية في رقبة كل بنت وإسورتين رفيعتين، خلعت هي كل ذهبها كما طلبت منها زوجة الأخ كتقليد أخلاقي حيث أقنعتها وهي الريفية الأمية أنَّ لبس الذهب عيب كبير في وقت دفن الزوج، والحمد لله أن أعماها الله عما ترتديه البنات الثلاث.

فاقت بعد أول يوم وقرب نفاد الطعام الذي أحضره الأخ ليلة أمس برجل يطرق الباب!

- السلام عليكم يا حاجة.

قالها رجل في جلباب بلدي بسيط.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- الأستاذ اللي جه معاكم امبارح دفع حق ليلتين بس إيجار وقال

لي أبقى آجي أسال حضرتك لو عوزين تمدو شوية، أو لو مش كده يبقى بكرة على صلاة الظهر آجي أستلم الشقة منك.

قالها وهو يعطي لها ظهره وينصرف دون الاستماع حتى إلى ردٍّ منها.

ما نحنُ عليه اليومَ يأتي من افكارِنا بالأمسِ
افكارنا اليومَ تبني حياتنا في الغدِ
حياتنا نخلقها من عقولنا

اجتماع السادسة

قبل الموعد المحدد للتجمع المجموعة في بهو الفندق واستعدادهم لأولى الرحلات المخططة لهم في الجدول المعدِّ مُسبقًا، جلس خليل وأمامه بعض الأوارق ونظارته الطبية على طرف أنفه يدقق فيهم، حتى رنَّ جرس صغير صادر من هاتفه المحمول معلنًا وصول رسالة نصية قصيرة، تنهد خليل وهو يرفع النظارة مقربها إلى عينيه ويبعد شاشة الهاتف حتى يتثنى له قراءتها.

ارتجف قلبه عندما ظهر له على الشاشة اسم المرسل؛سارة!

- لا تحاول الاتصال مرةً أخرى بي، اتركني في حالي، وإن كان هذا ليس جديدًا عليك، فقد تركتنا من قبل

فلماذا الآن تعاود الاهتمام؟!

رسالة باللغة الإنجليزية، كان ينتظرها منذ عدة أيام.

تنهد مرة أخرى في أسىً، وزفر زفيرًا عميقًا وهو يلقي بالهاتف أمامه وبالنظارة في نفس الوقت قبل أن يقول:

- غبية!

ولم يخرجه من هذه الحالة إلا ظهور ميرا بجلبابها الأبيض الفضفاض وضحكتها المنيرة على صدغيها والتي كانت كفيلة في إزاحة أي ألم أو غضب من أحدٍ ممن يراها:

- كيف حالك صديقي العزيز خلة؟

قالتها وهي تضع قبلة حانية علي خده قبل ان تعقب:

- أليست هذه الحياة هدية الله لنا؟ كيف لا يراها أغلب الناس هكذا؟

وكأنها لم تكن تريد جوابًا منه بل كانت تزيح حنقه الذي رأته بداخله.

لا تَدَعْ أحْلَامَكَ تكونُ مُجرَّدَ أَحْلَامٍ

في الغرفه رقم 3

كانت تقطن لمياء وناهد، لمياء مهندسة ديكور شديدة الجمال، ذات جسد ممشوق طويل، وبشرة أشد بياضًا من الثلج وعينين زرقاوين وشعر أحمر مموج غجري طويل. ناجحة في عملها جدًّا، تمتلك مكتبًا للديكور ولها زبائن من مستوى اجتماعي عالٍ.

كانت في أيام الجامعة مطمع الكثير من الشباب وموضع حسد من الكثير من البنات، رفضت تقريبًا كلَّ من تودَّدَ للقرب منها؛ فهي قد أقسمت ألا تعطي قلبها إلا لمن يستحق.

كانت دائمًا تبحث عن الحب، ولم يكن يرضيها هؤلاء الشباب في مثل سنها أو ماشابه، حتى تخرجت وفوجئت بدكتورها في الجامعة يعرض عليها العمل لديه في مكتبه الخاص.

لم تكن في أيام الجامعه تنشغل به أو يأتي على خاطرها كرجل تحبه ويحبها؛ فهو بالرغم من وسامته وحديث كل الكلية عن شياكته وسيارته وما شابه، لم تكن تشعر سوى بأنه دكتور محترم تجله وتقدر علمه، حتى إنها استغربت عندما عرض عليها العمل معه؛ فلم يكن هناك أي حديث خاص فيما بينهم.

وبعد عام واحد فقط كانت زوجته وكان حبَّ حياتها، أحبته إلى درجة الجنون وكأنه فتى أحلامها الذي كانت تنتظره ولا تعلم من يكون، خالفت أهلها بل قاطعاتهم لرفضهم هذه الزيجة غير المتكافئه من وجه نظرهم؛ فهو زوج وأب لأولاد قريبين من سنها، وهي بالنسبة لجمالها وتفوقها الجامعي تستحق زيجة أفضل من تلك.

تزوجته ووافقت أن تكون زوجةً ثانيةً، وآثرت السلامةَ ووافقته على عدم الإنجاب، منذ كانت في العشرين من عمرها وهو في منتصف

الأربعين، لم تكن هناك أية مشاكل بل بالعكس كانت حياتها سعيدة جدًّا.

يعملان معًا في شركته صباحًا، لها ثلاثة أيام في الأسبوع وبقية الأسبوع لبيته الأول، زوجته الأولى وأولاده يعلمون، وكانت تسافر معه في كل المؤتمرات والندوات الخارجية، ويعيشان كالأزواج الجدد دائمًا.

انشغلت بعملها وبيتها وكانت عندما ترى أطفالًا صغارًا ويحن قلبها لحملهم وضمهم، تفيق بسرعة مرددةً أنها الآن أحسن حالًا من تلك السيدات المحملات بأثقال أطفالهن ومسئوليتهن تجاههم.

حتى ما أن أتمت الأربعين منذ عدة أيام مضت على تلك الرحلة، يومها فقط شعرت بعمرها المنصرم، كانت دائمًا ما تُقنع نفسها أنها ما زالت قادرة على الإنجاب، وأنه ما زال في العمر بقية، وأنَّ هذا المنع منع مؤقت سرعان ما سوف يلين لها زوجها ويوافق في النهاية.

ولم لا وهي التي حاربت الدنيا لأجله، ورضخت لجميع أوامره، وكانت له هذه الزوجة المحبة المطيعة دومًا؟!

وعندما فاتحته في الأمر مؤخرًا، رد عليها ردًا قاسيًا جدًّا:

- خِلفةٌ ؟! دلوقت؟ ليه؟ ما احنا كويسن أهو، بلا وجع دماغ، وبعدين أنا ولادي قربو يتجوزوا وأبقى جد، إزاي متخيلة إني أقدر استحمل أطفال تاني، أنا خلاص يا ماما قربت أودع ..

- أنت أب وأنا إيه؟

- أظن دا اتفاقنا من أول يوم.

- وأنا غيرت رأيي ومن حقي أكون أم.

- الكلام دا كان ينفع زمان، بعد العمر دا افتكرتي، إنت نقصك إيه، فيلا وعربية وسيدة أعمال ناجحة، ومكتبك من أشهر المكاتب في مصر كلها، نقصك إيه؟

- ناقصني أبقى أم، ناقصني حضن طفل يضمني في وقت ضيق، سند لي لما أكبر.

- معدش ليه لازمة الكلام ده، أنا عمري ما بغير اتفاقي، وانتي عارفة رأيي وانتهينا، ومش عوز نفتح السيرة دي تاني، انتي بس أعصابك مرهقه من زحمة الشغل، مش كنتِ بتقولي إن ناهد رايحة مع النادي رحلة لدهب؟ إيه رأيك، روحي معاها، غيري جو شوية وهدي أعصابك.

اللامبالاة تقتل الرغبة في كل شيء
ربما تشعر بالموت.. وأنت تبتسم!

ناهد

تخطت الأربعين بقليل مع أن شكلها يوحي أنها في أوئل الثلاثينات؛ ربما لصغر حجمها ونحافتها، ذات شعر أصفر قصير، تزوجت في حياتها أربع مرات كلها باءت بفشل ذريع ونتج عن تلك الزيجات أربعة أطفال موجودون مع آبائهم ولكنها تراهم دائمًا.

هوائية، مجنونة، تبرأَ منها أغلب أهلها، حتى عندما تركت بنتها وعمرها ستة أشهر فقط وكانت لا تزال ترضعها، لم تبك ولم تشعر بأي تأنيب ضمير.

تأخذ الحياة من منظور: لم أبدأ بعد، والقادم هو الأحلى. وهذا القادم لا يأتي؟

تنفق من رِيع عقارات تملكتها من ورث قديم، وتحترف فكرة البيع والشراء وتكسب منها كثيرًا، الفراغ يملؤها وتعوضه بشِلَّة النادي والمكوث فيه ليلًا ونهارًا، ترجع مساءً وظنَّ الجميع فيها أنها سعيدة، ولكن تنتابها حالة من الخوف المَرَضِي تأخذ على أثره كل ليلة حِفْنةَ أدويةٍ حتى تستطيع النوم.

حياتها كانت نتيجه تفكك أسر منذ الصغر وأثَّر هذا عليها كثيرًا، تزوجت زيجتها الأولى وهي تنتظر نتيجة الثانوية التجارية، بالرغم من أنها كانت تعلم أنها فاشلة في الدراسة بشكل كبير ولكنها لم تكن تهتم.

تزوجت من ابن الجيران الذي كان واضحًا أنه يحبها منذ الصغر ولكنه وجد واحدة مختلفة تمامًا؛ فهي لا تهتم بأي شيء حتى إنه شك في قدرتها العقلية.

وعرض عليها أن يذهبا سويًّا لطبيب ليكشف عليها أو أحد يخبرها

بهذه اللامبالاة التي تعيشها وهذا الصمت القاتل الذي ينتابها كل حين فلا تتكلم وكأنها لا تسمع أيضًا، وعندما يئس منها طلَّقها وأعادها إلى بيت أهلها ولم يكن أنجب منها أولادًا.

الزوج الثاني لم يكن بخير حال عن الأول غير أنها حملت منه في ولدين توأم ولم يتما عامهما الخامس حتى كان الأب قد طردها لإهمالها وبرودها المتناهي، وإن كانت في هذا التوقيت قد ورثت الكثير بعد وفاة أمها، واستطاعت أن تقتنيَ منزلًا وتقيم فيه وتشتري آخر وآخر وآخر.

أعجبتها الفكرة فانشغلت في أن تبيع وتشتري حتى تعرفت على زوجها الثالث الذي كان رجلًا كبيرًا يزين الشيب والوقار رأسه، وتزوجها على زوجته في السر.

وعندما حملت بابنتها الوحيدة وكانت لا تزال في شهورها الأولى وكانت قد أدركت الحياة قليلًا وأصبحت على أعتاب تحمل المسئولية والوعي، علمت الزوجة الأولى ذات المنصب والسلطة والمال بزواج زوجها وإنجابه منها تلك الفتاة، فما كان منها إلا أن سعت في طلاقها، وما كان من ناهد إلا أن ذهبت بنفسها وبإرادتها الكاملة وتركت لها ابنتها الرضيعة قائلة:

- أبوها أولى بيها، أنا مقدرش أتحمل مسئوليتها ولا أعرف أربيها.

وتركتها لزوجة طليقها دون أن تذرف دمعة واحدة.

أما الزوج الرابع الشاب الذي يصغرها كان يطمع في أموالها وعقاراتها ولم تكتشف هذا إلا بعض أن أنجبت منه ابنها الأصغر وكالعادة لم يدم الزوج طويلًا.

ورجعت الآن إلى شقتها بالمعادي والقريبة من النادي والتي تقضي به أغلب يومها، وكانت لا تفوِّتُ أيًّا من الرحلات إلى أي من الدول أو المدن داخل مصر وخارجها.

- أنا ح أنام في السرير اللي بعيد عن الباب.

قالت ناهد للمياء وهي تضع ثيابها في الدولاب:

- نامي مطرح ما انتي عوزه، أنا معنديش مشكلة، المهم متكونيش بتتكلمي وانت نايمة بس.

قالت لمياء وهي تضحك وتفتح باب التراس الملحق بالغرفة والذي يطل على البحر مباشرة.

وعندما مالت برأسها يمينًا على التراسات المجاورة، رأت صفاء وهي تطيل النظر إلى البحر وكادت أن تنادي عليها لتخبرها أن سيجارتها قد انتهت وأنها سوف تحرقها، ولكنها آثرت الصمت احترامًا لتركيزها.

وما كان منها إلا أن نظرت إلى ما تنظر إليه صفاء وتجلس على ذات الكرسي وتناديها نفس النداء، فتستغرق في تفكير عميق، حتى إنها لم تسمع ناهد وهي تقول لها إنها قد انتهت من استخدام الحمام إذا كانت تحب أن تستخدمه الآن.

هل أخطأت قديمًا عندما أعماها الحبُّ عن الحقيقة؟ عندما خسرت أهلها وكلَّ أصحابها أصحاب المنطق والحق!

- متزوج وله أسرة يحبها ولن يفرط فيهم لاجلك، أنت بالنسبة له واجهة جميلة تساعده في سفره وعمله، لن تستطيعي أن تكوني أمًا!

ما هذا الغباء؟! أبعمل ومال وجاه بعت كل شيء، أبعربةٍ وخدمٍ ومستوى اجتماعي ضحَّيتُ بكل شيء، ماذا أفعل الآن؟!

إذَا مَنَحَكَ شخصٌ ما فرصةً مدهشةً
لكنك غير متأكدٍ كيف تعملها، قل نعم
ثم تعلَّمْ كيف تعملها فيما بعد!

بداية الرحلة

في تمام السادسة وفي الموعد المحدد بدأت المجموعة في التواجد في بهو الفندق وبدأت ميرا في التعرف عليهم والترحاب بهم بابتسامتها المعهودة وبروح شفافة تلقي بظلالها على حرارة يديها في السلام، فيسري في يد المتلقي لسلامها وابتسامتها إحساس عجيب بالراحة؛ وكأنها نسمة هواء رطبة غلفتك فجأةً في يوم حار.

كانت المجموعة قد بدأت بالهدوء بعد ساعتين الراحة وبعد ما لمسوه من جمال المكان وما يحويه، جلسو جميعًا حول ميرا -وخليل معهم- في شكل دائري يستمعون إليها لأول مرة، ولكنها لم تكن الأخيرة.

- أرحب بكم في دهب وفي منزلي المتواضع، نعم فهذا منزلي والذي قررت أن أستقر به بعد رحلة عمر طويلة جدًّا ومليئة بالأحداث كعامة البشر، اتخذتُ دهب مكانًا ومستقرًّا وكان قرارًا رائعًا.

وأحببتُ أيضًا ومن خلال زائري مسكني أن أعطي لهم شيئًا مما وهبني وأعطاني خالقي ومولاي، فكل من يسكن عندي أصحبه في رحلات خلوية إلى الجبل والبحر لأدرس معه وبه جزءًا بسيطًا من جمال الوهَّاب، وهذا إذا لم يكن عندكم أي مانع.

تمتمت المجموعةُ في إجماع بأنه لا مانع بالطبع لديهم بل يرحبون ويشكرون ذلك.

ابتسمت ميرا ابتسامة بسيطة وهي تتقدمهم، ويتبعهم خليل وليلى ويذهبون إلى الشارع الخلفي ليجدوا عَرَبَتَي نقلٍ مفتوح بكابينة أمامية، قال لهم خليل و هو يضحك:

- دي وسيلة المواصلات الرسمية في دهب، اتفضلوا اتشعلقوا، واللي مش حابب يقدر يقعد جنب عم مندو السواق أدام.

مندو رجل بدوي أسمر ذو أسنان صفراء، مبتسم فاتح ثغره دائمًا.

كانت إبتسام ترتعد خوفًا من أمها وهي تحاول ألا تنظر إليها بعد أن رأت منظر العربة والرجل البدوي ولكنها فوجئت عند النظر إلى العربة أن أمها تتسلق على يد خليل لتصعد إلى المنطقة المفتوحة في براءة الأطفال وتضحك.

ابتسمت إبتسام وتمتمت في سرها: حمدًا وشكرًا لله!

وكذلك قفزت باقي المجموعة بجوار صفاء وعلى وجوههم ضحكة جميلة وإحساس رائع.

تحركت العربة متجهة ناحية الجبل في توقيت متفق عليه، وعند منتصف الطريق توقفت العربة في منطقة مرتفعة تسمى البانوراما، قبل الغروب بدقائق معدودة.

وطلب خليل من المجموعة كلها النزول لمشاهدة هذا المنظر الخلاب، والتقاط بعض الصور التذكارية، فهم في أعلى الجبل ومن تحتهم تظهر مدينة دهب كاملة يحتضنها البحر بالكامل وفي أعلى منهم يظهر القمر مستعدًا للوضوح وتنزل الشمس في نفس اللحظة مودعةً يومها وتلاقي بظلالٍ برتقاليةِ اللونِ مدمجةٍ بحمرةٍ الغسقَ، والسماءُ متدرجةٌ الزرقة متداخلة في سحاب أبيض خفيف، مما يُعطي المنظرَ روعةً لم يشاهدوا لها مثيلًا من قبل.

تركتهم ميرا لحظات الاندهاش حتى مرت، وفاجأتهم بمنظر أشد غرابة؛ بأن ذهبت إلى حافة السور الرفيع الدقيق الذي يفصلهم عن الهاوية تحت الجبل وعن مكان وقوفهم، ووجدوها بردائها الأبيض الواسع تقف على الحافة فاردةً يديها إلى أعلى، مُناديةً بأعلى صوتها:

- الله الله!

ما بين شهقة مكتومة وأيادٍ امتدت لتمسكها أو تحاول أن تمنعها، ضحكت ميرا ونزلت قافزةً أمامهم في خفَّةِ بنتِ العاشرة.

- ما لكم؟

سألتهم في استغراب.

- كان ممكن تقعي.

قالتها حنان في ارتجافٍ واضحٍ

- وما الحياة بدون مغامرة عزيزتي؟

ردت ميرا وهي ترفع جلبابها قليلًا قبل أن تقفز إلى ظهر العربة داعيةً إياهم باللحاق بها؛ فقد بدأ الغروب وهي تريد أن يصعدوا الجبل قبل الظلام التام.

ما بين اندهاشٍ واهتمامٍ تردُّدِ جملتها الأخيرة تبعوها جميعًا.

فوق وفي جبل (الطويلات) المسطح في بعض جوانبه افترشت مجموعات كثيرة من البدو جلسات عربية بتعريشات من الخوص وأحيانًا من الأخشاب الرفيعة أماكن كثيرة في بطن الجبل واتخذوا من صبيانهم مرشدين للمجاميع الوافدة إليهم، واهتم الآخرون بتجهيز العشاء والشواء على الفحم، وكذلك عمل الشاي البدوي المميز.

تختار ميرا دائمًا مخيم (بندق)، هكذا اسمه؛ كناية عن اسم صاحبه البدوي الشهير، عندما تدخل ميرا أي مكان في دهب فهي تُعامل معاملة الملوك؛ من ترحاب وتقديم أرقى الخدمات، ومن شدة حبهم جميعًا لها،عند دخول المجموعة ومشاهدتهم للمكان وكامل طقم الضيافة -يُرحب بهم بشدة.

طلبت منهم ميرا تجهيز الغرفة الحمراء، وعندما استغرب الجميع من الطلب أشاور إليهم خليل إلى مصطبة أعلى من التي يقفون عليها بها جلسة مسطحة بالفرش البدوي الصوفي الملون ومحاطة بهيكل خشبي على شكل مربع مُنار بإضاءة رفيعة على حوافه حمراء اللون، لذلك أطلقو عليها الغرفة الحمراء.

صعدت المجموعة بحذر الجبل حتى وصلوا إليها بصعوبة بالغة

مـن ضيـق الفتحـات بـين الجبـال وخطورتهـا، وجدوهـا مفروشـة ببسـاط صـوفي بـدوي ملـون ارتمـوا عليـه يلتقطـون أنفاسـهم بعـد هـذا المجهـود.

قدمـت لهـم مـيرا بنفسـها زجاجـات ميـاه نقيـة صغـيرة وهـي تطالبهـم بالاسـترخاء التـام عـلى الوسـائد الصوفيـة عـلى الأرض، عندهـا أخـذوا في شرب المـاء بسـعادة ونَهَـمٍ حتـى قالـت إبتسـام:

- المليه دي جت في وقتها.

- كذلـك هـي أهميـة الحيـاة، لا نعلمهـا إلا في لحظـات الاحتيـاج، إنمـا نحـن نعيـش كل يـوم لا نفكـر في ماهيتهـا، الأن أبـدأ معكـم وكـما تعلمـون أن هـذه الرحلـة رحلـة للنفـس قبـل أن تكـون للبـدن كـما قرأتـم عـلى المنشـور للإعـلان عنهـا في النـادي.

هكذا ردت ميرا سريعًا ثم أردفت:

- عندمـا نولـد في هـذا الحيـاة نولـد عـلى الفطـرة، نولـد ونحـن نحمـل بجانـب الجينـات المكتسـبة مـن الآبـاء هبـات وكنـوزًا هـي نفحـة الرحمـن فينـا، ولكـن للأسـف مـع مـرور الأيـام تختفـي هـذه الهبات بسـبب اكتسـابنا عـادات وأفعـال مـا أنـزل اللـه بهـا مـن سـلطان، نبعـد عـن فطرتنـا التـي فطرنـا عليهـاز

هـذه الـشرور والآثـام التـي في الحيـاة هـي مـن صنـع أيدينـا نحـن وإنمـا رسـالتنا التـي خلقنـا مـن أجلهـا بعيـدة كل البعـد عـن هـذه الآثـام المنتـشرة سـواء بداخلنـا أو حولنـا، أريـد منكـم التفكـير في الإجابـة عـن السـؤالين التاليـين:

- مـا هـي مهمتـي في هـذه الحيـاة؟ مـاذا أريـد مـن هـذه الحيـاة؟ هـل فكـر فيهـما أحـد منكـم مـن قبـل؟

سـألتهم مـيرا وبعـد أن تمتـم البعـض بـدون إجابـات واضحـة وفضَّـلَ الآخـرون السـكوت قالـت:

- لا يهـم، دعونـا نفكـر الآن سـويًّا، وللاجابـة عـن هذيـن السـؤالين يجـب

أن نفكـر أولًا في السـؤال الأول والـذي بالتأكيـد مـرَّ عليكـم كثـيرًا، ولكـن أعدكـم أنكـم ستسـمعون تفسـيرًا جديـدًا لـه:

هل نحن مخيرون أم مسخرون؟

بـدأ كلام مـيرا يأخـذ جانبًـا في منتهـى الجديـة بالرغـم أن المـكان لا يوحـي بهـذا، ولكـنَّ أحـدًا منهـم لم يعـترض أو يشـعر بـأي ضيـق، العكـس تمامًـا مـا حـدث؛ كانـو جميعًـا آذانًـا صاغيـةً، عقـولًا متلهفـةً ونفوسًـا توَّاقـةً إلى المعرفـة وأجسـادًا تشـعر بالإرهـاق وتريـد أن تسـتريح.

- للإجابـة عـن هـذا السـؤال سـأعطي لكـم مثـالًا حيًّـا دقيقًـا يجيـب عنـه؛ تعلمـون جميعًـا وتوجـد عـلى هواتفكـم النقالـة بعـض الألعـاب الإلكترونيـة، تمـام؟

هزت المجموعة رأسها بالإيجاب.

- مخـترع هـذه اللعبـة وضـع لكـم كلَّ الاحتـمالات الممكنـة، إذا اخـترت هـذا الاختيـار، سـتترتب عليـه هـذه النتيجـة، وإذا اخـترت اختيـارًا آخـر سـتفتح لـك مجموعـة نتائـج مختلفـة، إذا حركـت الكـرة لليمـين مثـلًا ستسـقط عليـك مجموعـة جديـدةً مـن الاختيـارات عكـس تمامًـا مـا سـيظهر لـك لـو كنـت حركـت الكـرة إلى أعـلى أو لأي اتجـاه آخـر ، تمـام؟

- تمام!

ردَّت المجموعةُ في نَفَسٍ واحدٍ.

- وللـه المثـل الأعـلى، اللـه وضـع لـك البرنامـج كامـلًا مـن قبـل حتـى وجـودك في الحيـاة، ووضـع لـكل اختيـارًا تختـاره ونتائـج، إذًا اللـه يعـرف كلَّ شيء ولكنـه تـرك لـك الاختيـار بـكل المعطيـات، هـل فهمتـم شـيئًا؟

سألتهم ميرا وهي تبتسم ابتسامة هادئة

هـزَّ البعـض رأسـه بالإيجـاب بينـما كان الآخـرون يتفكـرون في هـذا المعنـى الجيـد الـذي لم يخطـر عـلى بالهـم مـن قبـل.

- نرجـع الآن إلى شَربـة المـاء التـي شربتموهـا جميعًـا بلهفـة كـبرى،

لماذا ؟ لأننا كنا نحتاجها ولا نتخيل بعد صعودنا الجبل بهذه الصعوبة والمجهود وبُعدنا عن الخيمة بما تحتويه تحتنا، أن نجد ماءً مثلجًا يروي عطشنا في ثانية واحدة، تمام؟

لم تنتظر إجابةً منهم قبل أن تكمل:

- هذه حياتنا؛ نتعب ونجتهد ونستبعد الراحة أو وجودها وإن كانت حولنا ولا نراها، لأنه بُني في عقولنا منذ الصغر أنَّ هذه الحياة غير عادلة، أنها دار شقاء وابتلاء، أن السعادة والراحة في الآخرة فقط، وهذا بعيدٌ كلَّ البعد عن الحقيقة.

أنا لست عالمة أديان ولكن أقرأ كثيرًا وأفكر؛ عندما قال الله تعالى في كتابه الأخير القرآن: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأرضِ جَمِيعًا) البقرة ٢٨، وعندما قال في الإنجيل: (انظُرْ قَدْ جَعَلْتُ اليومَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ والموتَ،الْبَرَكَةَ واللعَنَةَ، فَاخْتَرْ الْحَيَاةَ لكي تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلَكَ) سفر التثنية ٣٠:١٩.

كل الفكرة أننا نجهل كثيرًا، وكلما مر بينا العمر نزداد جهلًا، إلا قلة قليلة تبحث وتبحث ومنهم القليل الذي يعلم فيعلم ما تعلمه، وأرجو أن أكون أنا منهم.

فأنا منذ أكثر من أربعين عامًا وكنت لا أزال في مقتبل حياتي مررت بتجارب قاسيةٍ لا يتحملها بشر؛ فقدتُ أهلي وبيتي في لحظات، دمار ودماء جرَّاء حرب غبية عصفت بكل من حولي وكادت أن تمحوني من الحياة، كان أقل ما أفعله وقتها أن أُنهيَ حياتي بيدي، ولا أدَّعي أني لم أحاول.

ودون أن أُدخلكم في تفاصيل طويلة موجعة جدًّا إلا أنَّ الأهمَّ عندي أن تعرفوا أنَّ طفلًا صغيرًا هو من أنقذ حياتي وغيَّرَ فكرتي وأخرجني من سوادٍ حالكٍ تملكني إلى نُور الله الساطع والذي كان أمامي وأعميتُ عيني بنفسي عنه؛ فقد كنتُ ذات ليلة حالكة السواد أفكر في وسيلة

أُنهيَ بها حياتي.

جالسةً كنت في ركن بيت شبه مهدوم، أبكي بحرقة؛ فأنا بلا حياة، كل شيء حولي به رائحة الموت، وإذا به يخرج لي من بين الأنقاض، ينفض ما عليه من تراب ويمسك يديَّ بدون كلام ويدفعني لأنهض، أمشي معه لا أعلم كم من الوقت مرَّ ونحن نسير، لا أعرفه ولا يعرفني ولكن يبدو أننا الوحيدان اللذان نجونا من هذه المذبحة.

كان معلقًا بيدي كما يُعلَّق الغريق بلوح خشبي، ولكني عند أول استراحة أجده هو من يربت على يدي ويمسح دمعي.

بل الأغرب أني وجدته قد بدأ يلعب بالأحجار من حولنا ثم بدأ في الجري وراء إحدى الفراشات وكأنه لم يكن منذ ساعات قليلة على وشك الموت ولا أنه رأى وهو ابن الثالثة أو الرابعة ما قد رأى وسمع ما يشيب له شعره من موت ودماء وخراب ودمار.

هذا الطفل غيَّرَ نظرتي في كل الحياة وقررت لحظتها أن أتعلم، وأعرف كيف لهذا الطفل أن ينسى ما مرَّ بنا بهذه السرعة، هل نسي أم تناسى؟ ولماذا لا أتناسى مثله وأدعي أن لا شيء حدث.

كان قرارًا صعبًا، وكنت لا أعلم وقتها كيف سأفعل هذا ولكني دعوت يومها دعاءً أحسبه صادقًا أنه إذا منَّ عليَّ الله بالإجابة فلن أخفيها لديَّ، بل سأعلمها لمن يريد ومن لا يريد؛ لأنه من الممكن أن يكون لا يعلم كيف يريد.

بدأت المجموعة في الرجوع من هذه البلدة التي كانت تسكنها ميرا، واختفت من أمامهم صورة هذا الطفل الذي كانوا يرونه الآن في خيالهم ويعيشون حكاية ميرا كأنه فيلم سينمائي قد عُرض لهم.

أكملت ميرا:

- نعم ربما بعضكم لم يجئ هنا للإجابة عن أية أسئلة ولكنه بداخله شيء ما، فاغتنموا الفرصة وتعلموا لأن هذه رسالة موجهة

إليكم أنتم على الأخص، وصدقوني أنا أعلم أنَّه ما من شخص يخلو من المشاكل التي تعكر عليه صفو حياته.

وأنا هنا لست بصدد حل مشاكل أحد، فقبل أن نتنتظر من الماكينة إخراج القماش يجب أن نعلم كيف تخرج الدودة القز وكيف نضع في الماكينة ما يستلزمها لإخراج القماش؟!

لنرجع الآن إلى السؤال الأساسي:

لماذا أنا هنا في هذه الحياه؟

وماذا أريد منها؟

فإذا وقفنا ما بيننا وبين أنفسنا للإجابه والتي يجب أن تكون لكل منا على حدة وداخلنا لا يعلم أحد ما كان بها، هنا سوف تجدون أن كل مشاكلكم وإرثكم العقلي وما فيه وهذه التابوهات التي رُبِّينا عليها وتشبه الأصنام، وقولنا: هذا ما وجدنا عليه آباءنا، قد مُحيت واختفت أو اختلفت؟.

كلنا بنا وحولنا الكثير من المشاكل، ربما نكون نحن من صنعناها بأيدينا، ومن الممكن أن تكون هي التي سعت إلينا بشكل أو بآخر، لا يهم الآن، ولا أعرف تحديد مشكلة كل شخص على حدة، ولكن تأكدوا أنَّ هناك مفتاحًا لديك كمفتاح المصدر (ماستر كي)، ألا وهو مفتاح الفطرة.

هذا الطفل أحياني لأني فعلت مثل ما فعل؛ لم أبك على أطلال، لقد حدث ما حدث، فماذا أنا فاعلة الآن؟ بكاء وعويل وإنهاء حياة، أتلفح السواد وألعن الظلم والظلام.

قمت من فورى وبدأت ألعب معه وأجري وراء الفراشات، وظللنا نضحك ونلعب حتى تعبنا فنمنا تحت إحدى الشجرات، هكذا أدركت أننا أطفال ويجب أن نكون، هذه هي فطرتنا التي فُطرنا عليها؛ فالطفل لا يتصرف نتيجة أفكار قد درسها وفكر في عواقبها وفي إذا ما

كانـت تصـح أم لا؟

الطفـل عفـوي، هكـذا نقـول وكأننـا نعلـق أخطـاءه عـلى شـماعة طفولتـه، مـع أن بقليـل مـن التفكـير نجـد أن تصرفـه هـو عـين الصـواب، هـو غـير مقيـد بأفـكار سـابقة أو خـبرات الآخريـن أو تعليـمات مملاة عـلى عقلـه، هـو بـكل بسـاطه (حـر)، هـو حـر!

وهكـذا قـررت أنـا، أنـا سـأتحرر مـن كل القيـود والفـروض و العـادات والمعتقـدات، حتـى مـا تربيـت عليـه ومـا أؤمـن بـه مـن خـلال آبـائي فقـط، أنـا سـأتحرر حتـى أصـل إلى الحقيقـة بنفـسي.

لم أسـمع لأحـد أو أمـشي وراء كلام أو خـبرات أحـد، وهـذا مـا أطلبـه منكـم؛ لا تسـمعوا لكلامـي، فلربمـا كلـه خطـأ، ابحثـو بداخلكـم، إذا كنتـم مؤمنـين فهـذا يقـوي إيمانكـم، فالله سـألكم العلـم والتفكـر والتدبـر، ابحثـو بـين قلوبكـم عـن الصـواب وليـس مـا تربيتـم عليـه.

والآن لتصلـوا إلى هـذه الإجابـات يجـب أن أنقـل لكـم خـبرتي في بعـض النقـاط، ثـم بعدهـا أنـا أثـق أن حياتكـم سـتكون كحبـل مُعَقَّـدٌ في بعضـه وكـوَّنَ كـرةً كبـيرةً مـن العُقَـد الصغـيرة التـي يصعـب أن تفـك، ولكنكـم ستندهشـون عنـد رؤيتكـم أن طـرف الخيـط في أيديكـم يمـر بسرعـه جـدًّا مفـككًا وسلسًـا.

مـن الآن وحتـى لقاءنـا في الغـد في أجمـل مـكان بدهـب؛ محميـة (أبوجلـوم)، والتـي سـنقضي اليـوم كلـه بهـا حتـى الغـروب سـأطلب منكـم طلبًـا واحـدًا حاولـوا أن تتمعنـوا فيـه وتنفـذوه؛ ألا و هـو عـدم التقييـم.

فـلا تُقيِّمُـوا أحـدًا ولا تنتظـروا تقييـمًا مـن أحـد؛ تذكـروا هـذا جيـدًا، ولا تسـتغربوا إذا جـافى النـوم مقلتيكـم، وصدقـوني في اليومـين القادمـين صحتكـم ستتحسـن كثـيرًا بالرغـم مـن قلـة النـوم وستشـاهدون وجـود طاقـة عاليـة وفرحـة في النفـس ونشـاط هائـل فيهـا، فـلا تسـتغربوا.

والآن هيَّـا بنـا نتأمـل قليـلًا في سـماء اللـه! في جـمال الخالـق لهـا؛ وقوفها

بغير عمد، هذا الكم الهائل من الكواكب والنجوم والمدارات، حياة بعيدة بها الكثير من الأسرار الإلهية، اهتدى بها الأوئل من البشر إلى معرفة التقويم والأزمنة، واهتدوا بها في أسفارهم، ولنحاول نحن اليوم أن نهتدي بها في تقويم أنفسنا وتقييمها.

أريدكم جميعًا في الاستلاقاء على ظهوركم والنظر إلى السماء والنجوم في هدوء تام، ركزوا على السماء والنجوم بشدة ولا يستدع أيًا من الأفكار التي في رأسك الآن، فقط لتصلوا إلى هذه الحالة والتي تسمى (ألفا) والتي تعني الاسترخاء التام وجعل العقل في حالة من السكون، يجب عليك تنظيم نفسك؛ شهيق من الأنف وكتمه بداخلك حتى تشعر به عند بداية المعدة، ثم إخراجه ببطء من الفم.

فعلت المجموعة ما أملتهم عليهم ميرا وبدأو في الاسترخاء التام، كان السكون يغلف المكان بالكامل مع نسمة هواء خفيفة تتخبط برفق حتى لا تخرجهم من حالة التأمل التي بدت أنها تملكتهم جميعًا.

عندما نهضت المجموعة شعروا بشعور غريب عنهم، شعروا كأن حجرًا ثقيلًا كان على قلوبهم قد انزاح لتوِّه، ولا يعرفون لهذا تفسيرًا، ولكنهم جميعًا قد شعروا بهذا الشعور .

كانت رائحة الشواء قد وصلت إليهم إلى أعلى، فبدأوا يغمغمون أنَّ الآن فقط شعروا بجوع كبير.

كانت رحلة الهبوط من الغرفة الحمراء أسهل كثيرًا من الصعود إليها، كما كانت صحتهم أيضًا مختلفة، ودرجة نشاطهم أعلى.

بدأ البدو في تحضير الطعام للمجموعة والذي كان على شكل مشويات وأرز بخاري مطهو في الحجر، وبعض من الخضروات الطازجة، كانوا جميعًا يشعرون بجوع هائل، وكان الجو مع إضاءة المكان بالشموع ونور القمر المحيط بهم زاد من شعورهم بالسعادة وهم يتناولون طعامهم، وختموا الليلة بشرب الشاي البدوي الذي وقعوا في غرامه جميعًا.

وبـدأت المجموعـة جميعهـا تغنـي مـع الشـيخ صالـح البـدوي وعـازفي الـدوف والطبلـة مـن أبنائـه، مـما جعـل الجميـع في حالـة مـن النشـوة والسـعادة الغامـرة.

استنشاق الحياة

واقفةً على سور الكافتيريا على البحر مباشرة فاردةً ذراعيها، ناظرةً إلى القمر بدرًا أشعته الفضيَّة تنسال على البحر, تشعر أنها تنتشر بداخلها

تغني بصوت عالٍ:

يا دنيا حبي وحبي وحبي

العمر هو العمر هو ،، الحب وبس

واسقيني واملي، واسقيني تاني

منك من نور زماني االسقيني يا قلبي ...

ومن خلفها تجلس الصديقات على الوسائد الملونة على الأرض يغنين معها في نشاز واضح للجميع, وفجأةً تسقط بظهرها بالقرب منهن على كمية من الوسائد الصوفية الملونة بكل ألون الحياة الملقاة على أرضية الكافيتريا، ضاحكة ضحكة عالية، يضحكن هن أيضًا لسقوطها المفاجئ.

وفجأة يسود الصمت إلا من صوت ارتطام الموج الخفيف بسور الكافتيريا القصير، مُحدثًا صوتًا ناعمًا جميلًا يدغدغ الإحساس، حاملًا ريحًا قويةً جميلةً تحسه مليئًا برائحة البحر، ممزوجة بعطر رائع لم يشم من قبل.

ينظرن إلى القمر القريب بشكل مُلْفتٍ بدرٍ كبيرٍ شديدِ الإضاءة، يملأ نفوسهن بضياء يسري في عروقهن فيزيدهنَّ نشوةً وهَّاجة!

ينظرن إلى بعضهن البعض ثم ما يلبث أن يبدأن في وصلة ضحك بصوت عالٍ:

- هو دا طبيعي؟

- أكيد محمود حاط لنا حاجة في الشيشة!

- أنا مشربتش شيشة.

- ولا أنا.

- ولا أنا.

ضحك هستيري تتساقط معه الدموع من شدته.

- أكيد الناس اللي جنبنا كانوا بيشربوا حاجة والدخان ظبطنا.

ناظرات إلى القمر من جديد:

- هو احنا فين؟

- دي الجنة أكيد!

- يعني متنا، وطلعنا الجنة كمان خلاص؟

وصلة ضحك، يعقبها سؤالٌ أسكت الجميع:

- مين ميرا دي؟ طلعت لنا من فين؟

- هي إنسانة زينا كدة؟

- على فكرة دي طلعت لنا من البحر فعلًا، أنتِ نسيتي؟

ضحك مع استغراب مع تذكر تلك اللحظة؛ خروج ميرا من البحر أمامهن، وتعرفهن عليها.

- تفتكروا هي جنسيتها إيه؟

- هي مسلمة ولا مسيحية ولا إيه بالظبط؟

- أنتِ نسيتِ أول درس ولا إيه؟

- ردو كلهم بصوت واحد:

- مافيش تقييم!

- ملناش دعوة بحد.

- طب يالا بينا لازم نطلع ننام، ميرا قالت ح نبداء الساعة ٦ الصبح.

قاموً جميعًا بنشاط ممزوج بأفكار؛ ماذا سيحمل لنا الغد، وماذا ستقول لنا ميرا غدًا؟!

- محمود سيب الشيك مفتوح، إحنا لسه قاعدين كام يوم.

- تصبح على خير.

- انتو من أهله يا أحلى ستات شافتهم دهب من زمان، منورنا والله، مستنيكم على الفطار، حد عوز طلبات معينة؟

- براحتك يا محمود، اعمل لنا اللي أنت عوزه.

ابتسامات على الوجه، وسعادة في القلب والنفس لم يحسوها منذ زمن طويل.

عندما تكتشفُ انتهاءَ مُدةِ صلاحيتك في قلوبهم
لا تُضَيِّعْ وقتَكَ في استفساراتٍ..
فقط..
ارْحَلْ.

أم البنات

أغلقت هدية الباب وقد أُسقط في يديها الآن ما قد فعله إخوة زوجها الراحل، وأدركت لماذا كانت زوجة الأخ الكبير في منتهى العطف ودموع التمساح تملأ عينيها، الآن فقط أدركت ما قد حدث، ولم تُفق من صدمتها إلا على صوت ابنتها الكبرى تمسك بيديها سلاسل ذهبية وثلاثة هواتف نقالة:

- نبيع دول مؤقتًا، وربنا مش ح يضيعنا يا ماما.

قالتها الابنة الكبرى وهي تحاول أن تبدو متماسكة وتخفي دموعها بصعوبة.

توالت الأحداث فيما بعد، وبعد أن احتفظت هدية بهاتف واحد فقط محاولة منها أن تظل تتصل بالعمَّين، وتسمع صوتها عند كل محاولة أن حسبها الله ونعم الوكيل، وتظل تدعو الله أن يسامحهما على ما فعلاه بها.

نعم كانت تدعو لهما بالهداية وتدعو الله ألا يعذبهما بفعلهما، فهما بالتأكيد كانا في ظروف معينة هي ما اضطرهم لفعل هذا الفعل، وأنها ترغب في المقابل أن يسترها الله هي وبناتها ويحييهن ويميتهن بعزة وكرامة، وأن يجعل لهنَّ مخرجًا، فهو الله حسبها وكفى!

هكذا كانت هدية، وهكذا كان تعليم الشيخ وزوجته لها؛ إذا كان للمظلوم دعوة لا ترد فهل يضيعها على من ظلمه أم يدعو بها لنفسه؟! التسامح ليس من صفات الكثير من البشر ولذلك اختصهم الله في كتبه جميعًا، سامح، تسامح، وعلمهم كيفية التسامح وجزاء المتسامحين.

ليس بالشيء السهل بالتأكيد، ولكن كانت هدية من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم منذ الصغر وعلمها على يد الشيخ الكبير الكثيرَ والكثيرَ والذي لم يتعلمه الأغلبية من البشر مهما أُوتوا من علم الكتب الدنيوية الكثير.

بعد أن بدأت هدية في هذه الشقة الصغيرة، وبعد أن باعت ذهب بناتها لتدفع إيجار شهرين، وبعد أن بدا الجيران في المسكن يشتمون رائحة أكلها المميزة والتي تكلم عنها كل المحيطين بها والشوارع المجاورة، عُرض عليها من بعض الجيران أن تصنع لهم بعض الوجبات يوميًّا مقابل مبلغ من المال وقد كان.

فرحت هدية بهذه البداية وشمرت عن ساعديها لتعمل بكل جهد وحب ورضا، كانت كل ليلة تصلي وتدعو الله أن يمدَّ لها يد المساعدة ويمنحها وبناتها الستر والعافية، عملت وعملت بجهد كبير، وساعدتها بناتها بكل همة ونشاط.

حتى جاءها يومًا صاحب العقار مهددًا إياها بالطرد إن لم تكف عن تحويل منزله إلى عمل تجاري، وأنه سوف يبلغ عنها مصلحة الضرائب والحكومة وأن مصيرها السجن هي وبناتها، وأن الجيران قد اشتكوا من رائحة الطعام، ومن كل هؤلاء الزبائن الداخلين والخارجين من العقار.

وإن كانت حقيقة الأمر التي لم تكن تعلمها حينها هدية أنَّ أصحاب كلِّ المحال بالشارع والشوارع المحيطة قد اجتمعوا بعد أن طالهم شبح الإفلاس والركود بعد أن تحول كل الناس عنهم واتجهوا إلى هدية وطعامها.

- الست دي لازم تمشي هي وبنتاها وإن أنت متدخلتش احنا ح نتصرف بمعرفتنا، احنا لسه عملين لك حساب وإننا جيران وبينا عِشرة، ومحدش فينا لحد دلوقت بلغ الحي بالدورين الزيادة اللي طلعت

بيهـم، وكلنـا سـتر وغطـا عـلى بعـض.

قال أحدهم بعد أن عقدوا العزم وتوجهوا إلى مسكنه وهددوه.

كانـت تعلـم أنَّ اللـه لطيـف خبـير، وكانـت دموعهـا تنسـال بشـدة عـلى خديهـا، ليـس حنقًـا ولا غضبًـا ولكـن قلـة حيلـة، إلى أيـن تذهـب الآن ولمن؟ فكـرت كثـيرًا ولم تجـد أي حـل ولكنهـا كانـت تعلـم أن اللـه عنـده مليـون حـل وهـي ليـس عليهـا الآن سـوى الانتظـار.

وضَّبـت أغراضهـا البسـيطة ووضعتهـا بجـوار بـاب الشـقة وأمـرت بناتهـا بعـدم الخـوف والجـزع فالنهـار يحمـل لهـم أخبـارًا سـارة.

كانـت عـلى يقـين أن اللـه لـن يضيعهـا ومسـحت دموعهـا ووقفـت تصـلي وبجانبهـا بنتاهـا الثلاثـة يسـجدن وفي كل سـجدة يُطلـن الدعـاء حتـى إن فَرَغْـنَ مـن صلاتهـن ينمـن مقـرورات العـين.وكان خروجهـن لعـرض الطريـق فعليًّـا بعـد عـدد سـاعات قليـل وهـمًا وليـس حقيقـة!

عندمـا نامـت هديـة رأت شـيخها وزوجتـه في ملابـس بيضـاء بوجـه صبـوح ضاحـك يضعـان عليهـا وبناتهـا غطـاءً يقيهـن الـبرد ويطبعـان عـلى خدودهـن قُبلـةً حانيـةً ويرتبـاون حجرتهـن بهـدوء.

لا تكنْ خائفًا من المستقبل
كُنْ خائفًا من تكرارِ الماضي

خليل

حـاول أن يوقـظ سـارة قبـل رحيلـه ليخبرهـا ولكنـه لم يسـتطع، فهـو بالنسـبة لهـا الأب القـوي صاحـب شركـة السـياحة الكـبرى، وأنهـا وأمهـا الألمانيـة الجنسـية كل حياتـه.

كانـت صغـيرة عندمـا انهـارات السـياحة في مـصر وخـسر الكثـيرون -ومنهـم خليـل- الكثـير مـن أموالهـم، وقـرر بعـد إلحـاح مـن زوجتـه السـفر إلى موطنهـا الأم والعيـش هنـاك، لم يعلـم أن موافقتـه والتـي كانـت سـببها سـارة في توفـير حيـاة كريمـة لهـا في تعليمهـا وصحتهـا.

لم يكـن يعلـم أن هـذه بدايـة النهايـة لعلاقتـه بهـا كأب، ثـلاث سـنوات تحمَّلهـا مرغـمًا بعـد أن وجـد نفسـه بـلا أي عمـل وأنـه انتهـى بـه الحـال هـو الجالـس في البيـت وزوجتـه هـي التـي تعمـل، فهـو الـذي ينظـف ويطبـخ ويتحمـل كل الأعبـاء المنزليـة.

واسـتغلت زوجتـه وجودهـا في بلدهـا ووسـط أهلهـا وعزوتهـا وجردتـه مـن كل أموالـه التـي أتى بهـا مـن مـصر بعـد أن بـاع شركتـه الشـبه مفلسـة ليبـدأ في ألمانيـا بثمنهـا عمـلًا جديـدًا، ولكـن زوجتـه جردتـه مـن كل مـا يملـك حتـى كرامتـه، وعندمـا قـرر الرحيـل ليحافـظ عـلى مـا تبقـى منهـا لنفسـه.

رحـل فجـأة وبـدون أيـة مقدمـات، اسـتغلت زوجتـه هـذا لتجعـل ابنتـه تكـره وتقطـع بينهـم أيـة صلـة للتواصـل.

حـلَّ بعدهـا خليـل ضيفًـا عـلى صديقـه مـن أيـام السـياحة -والـذي يملـك فندقًـا في دهـب- أسـبوعًا ولكنـه لم يـبرح دهـب مـن لحظتهـا، خمـس سـنوات مـرت الآن منـذ وطئـت قدمـه دهـب، وبعـد أن عرفـه صديقـه والـذي أبى أن يعـرض عليـه عمـلًا عنـده في فندقـه خشـية إحراجـه وهـو

الـذي كان في يـوم مـن الأيـام صاحـب شركـة سـياحة كـبرى وكان هـو آنـذاك يعمـل لديـه، فآثـر السـلامة وعرفـه بميرا بعـد أن حـكى لهـا عـلى كل ظروفـه والتـي أحبتـه كثـيرًا وقالـت لـه:

- عزيـزي خليـل، عنـدي مشـكلة تؤرقنـي وأرجـو أن أجـد لديـك حـلًّا لهـا، فأنـا أعلـم أنـك هنـا في زيـارة قصـيرة لصديقنـا المشـترك أحمـد، وأنـك عائـد إلى القاهـرة بعـد أيـام قليلـة، ولكنـي أعـرض عليـك -إن لم يكـن عنـدك أي مانـع- أن تظـلَّ معنـا في دهـب لتسـاعدني في إدارة داري هـذه المتواضعـة والتـي لا تلائـم مهارتـك وعلمـك في السـياحة ولكنـي -حقيقـة الأمـر- أحتاجـك بشـدة، فهـل لـك أن توافـق عـلى مسـاعدتي؟

كان هـذا طـوق النجـاة لـه؛ فهـو ضائـع بمعنـى الكلمـة؛ لا عمـل ولا أسرة ولا أمـوال.

وهكـذا تحـول الأسـبوع لخمـس سـنوات لم يتذكـر خليـل أنـه نـزل إلى القاهـرة فيهـا مـرة واحـدة، ولكنـه كان كمـن فُتحـت لـه طاقـة القـدر؛ عمـل ومـكان إقامـة وأهـم مـن هـذا عائلـة محبـة لـه مكونـة مـن ميرا وكل طاقـم العمـل في ميرا أوتيـل.

ورغـم سـعادته إلا أنَّ عـدم اسـتجابة سـارة ابنتـه لمكالماتـه المسـتمرة ورسـائله الدائمـة والتـي شرح لهـا فيهـا مـرارًا وتكـرارًا ظـروف رحيلـه عنهـا هـي الـشيء الوحيـد الـذي كان ينغـص عليـه حياتـه؛ فقـد اشـتاق لابنتـه ولوجودهـا في حضنـه، كـم تمنـى أن تحـضر إلى دهـب ليريهـا بنفسـه السـعادةَ والحـبَّ الموجـود في قلبـه لهـا، كـم رآهـا معـه في كل رحلاتـه للجبـل أو البحـر معـه ويسـتمتعان معًـا بهـذه الجنـة في الأرض.

ولم يُـزِحْ عنـه همَّـه مـن آن لآخـر إلاحديثـه مـع ميرا عـما يخالـجُ صـدره مـن احتياجـه لابنتـه وتوضيـح الصـورة الحقيقيـة لهـا ومعرفتهـا سـبب رحيلـه المفاجـئ، وكانـت مـيرا دائمًـا مـا تطمئنـه، وأنهـا في يـومٍ قريـبٍ سـوف تكتشـفُ الحقيقـةَ، وأنَّ عليـه أن يسـتمرَّ في أحلامـه التـي سـوف

تتحقـق يقينًـا ويجدهـا واقفـة أمامـه بشـحمها ولحمهـا مبتسـمةً فـاردةً ذراعيهـا لتحضنـه:

- عِشْ هذا الحلم يوميًّا حتى يتحقق وتحقيقه بات قريبًا كلمة ميرا له كل يوم.

ما زلتُ حيًّا
وأؤمن بأني سأجدُ الطَّريقَ يومًا ما
إلى ذاتي
إلى حُلْمِي
إلى ما أُرِيد

محمود درويش

اليوم الثاني صباحًا

استيقظت المجموعةُ في اليوم الثاني بعد أن سهرت حتى قرب الشروق لدرجة أنَّ بعضهم أبى النوم حتى شاهد شروق يوم جديد، يوم جديد في الحياة ويوم جديد في حياتهم خاصةً.

استيقظوا وهم يشعرون جميعًا بشعور واحد؛ أنَّ ثمة شيئًا جديدًا يولد بداخلهم، أنَّ في الحياة الكثيرَ والكثيرَ والذي كانوا يجهلونه؛ ما هذا المكان وما سره وسحره؟

من هؤلاء البشر؟ وكيف ينعمون بهذه الحياة السلسة السهلة الخالية من كثير من المعوقات والتي كانو يجابهونها يوميًّا في حياتهم؟

وهل هذا لأنهم مقيمون في دهب فقط؟ وهذا تأثير الحياة بها عليهم أم أنهم قد اكتشفوا ذواتهم الحقيقية بها؟

والآن بات لهم العيش في أية بقعة على الأرض بهذا الإحساس والاختلاف.

كانت ميرا بثوبها الأبيض المُسْدَلِ عليها وألوان وشاحها الزاهية واقفةً في وسط البهو العربي بالفندق تُلقي عليهم بابتسامةٍ ساحرةٍ تحية الصباح، وخليل وباقي أفراد الطاقم يجهزون عدة الغطس وينقلونها إلى العربات المفتوحة والتي بات الآن أنَّ جميع أفراد الرحلة قد وقعوا في غرامها، وأخذوا يتسابقون في الصعود على ظهورها في همة ونشاط.

- اليوم سوف نذهب إلى أكثر الأماكن المحببة إلى قلبي لنكتشف هناك معجزات الله في أرضه المنسية من قِبَلِ الجميع، وبداخل بحره، والتي نحاول بفضل من الله أن نظهرها لكم وللجميع إن شاء الله عن قريب؛ (محمية أبو جلوم)، الطريق إليها والذي لا تستطيع بلوغه

إلا عـن طريـق البحـر أو المـشي موازيًـا للجبـل وتحتـك البحـر أو بركـوب الجـمال -في حـد ذاتـه مغامـرة كـبرى ممتعـة وشـيِّقة.

وفي الطريـق سـنمرُّ عـلى منطقـة تسـمى (البلـو هـول) وهـي ثـاني أشـهر منطقـة غطـس في العـالم، فهـي كخـرم عميـق جـدًّا يتعـدى عمقـه الـ ١٥٠ مـترًا، وهـو الأقـرب إلى الشـاطئ في منظـر خـلاب جميـل غـذا شـاهدته مـن أعـلى فـلا يسـعك إلا قـول سـبحان اللـه! وإذا رأيتـه مـن أسـفل لا ينفـك لسـانك وعقلـك عـن ذكـر اللـه وتسـبيحه.

كانـت مـيرا تـشرح وتتكلـم وكأنهـا تتكلـم عـن مملكـة عظيمـة كـما في الأسـاطير.

خيرتهـم مـيرا مـا بـين المـشي معهـا لأنهـا تحـب الذهـاب سـيرًا عـلى الرمـال ومـا بـين ركـوب الجـمال مـع خليـل أو الذهـاب بالمركـب لمـن لا يسـتطيع ومعهـم عبـده وعمـرو.

تقسـمت المجموعـة وكانـت الأغلبيـه قـد اختـارت تسـير مـع مـيرا لمـا أحبـوه مـن حديثهـا ورؤيتهـا للحيـاة الجديـدة عليهـم. كانـت كل كلمـة تخـرج منهـا أو فعـل كالـدرس بالنسـبه لهـم.

حملـت مـيرا حقيبتهـا عـلى ظهرهـا وتمتمـت في سرهـا ببعـض الكلـمات، كانـت تقـول:

توكلنا على الذي لا يغفل ولا ينام

توكلنا على صاحب الأرض والسماء

توكلنا على معطي الهبات.

وبـدأت في التحـرك ببـطءٍ ولكـن بهمَّـةٍ، وطلبـت مـن خليـل توفـير بعـض زجاجـات الميـاه البـاردة لمـن لا يملـك.

في المسـيرة لمحميـة (أبـو جلـوم) والتـي هـي عبـارة عـن خـط عريـض صحـراوي يحوطـه البحـر مـن الأمـام والجبـل مـن الخلـف في لوحـة ربانيـة عجيبـة، تتلـون ميـاه البحـر أمامـه بدرجـات مـن الزرقـة الفاتحـة والمتدرجـة

في الدكـون حتـى تصـل في بعـض المناطـق العميقـة الي اللـون الكحـلي الشـديد.

كان النهـار مـا زال في أولـه ولم تشـتد الشـمس بعـد، وبالرغـم مـن هـذا فقـد ارتـدت المجموعـة كلهـا هـذه القبعـة والتـي تحمـل شـعار الفنـدق ووجدتهـا المجموعـة في حجراتهـم كنـوع مـن الهديـة، فأصبحـوا كفريـق مـن الكشـافة الصغـار في إحـدى رحلاتهـم الخلويـة.

قالـت مـيرا بـدون أن ترفـع نظرهـا لاحـد منهـم ناظـرة أمامهـا في الطريـق:

- هـل بدأتـم في تنفيـذ أي مـما تعلمنـاه سـويًا أو شـعرتم بعـدُ بـأيٍّ مـن التغـيرات التـي بـدأت تجتـاح عقولكـم حتـى ولـو قليـلًا؟

أجابت حنان بسرعة ضاحكة:

- في الحقيقـه جوايـا حاجـات كتـير فعـلًا بـس بالنسـبة للتطبيـق احنـا طبقنـا نظريـة التقييـم.

نظـرت حنـان إلى صديقاتهـا غامـزةً، وفهمـت عـلى التـوِّ مـيرا بمـا داربينهـن في الأمـس فاسـتطردت قائلـة:

- هل فكرتم لماذا ليس من شأننا تقييم أحد؟ أو بمعنى آخر لماذا يجب علينا ألا نقيم أحدًا؟ وما الذي سنستفيده من التقييم في الأساس؟ خُلقنا في هذا الكون من نفخة الرحمن جميعًا ومن صُلب أبٍ واحدٍ، اختلفنا جرَّاء عوامل كثيرة في لون البشر وفي الأديان وفي المعتقدات المكتسبة، لكن هل هذا يلغي الأساس؟ نحن بنو آدم عيال الله الواحد؟

- بالطبع لا.

- هـل تتفقـون معـي أننـا جميعًـا أحـرار؟ أحـرار في مشـاعرنا في معتقداتنـا في أفكارنـا، ليـس لأحـد عـلى أحـدٍ سـلطان مهـما كان، حتـى الرسـل أصحـاب الرسـالات السـامية كانـت كل مهمتـم هـي التبليـغ (لَسْـتَ عَلَيهِـم بِمُسَـيطِر)!

ليس من شأنك ولن يضيف لك شيئًا أن تنتقد أحدًا أو تقيم أحدًا، من تزوجت أو تأخرت في الزواج، من أنجبت أو لا ولماذا؟ هذه ترتدي النقاب، وهذه سافرة، هذا يشرب الخمر، هذا على غير ديني، هذا لا يصلي، وهذه فاسقة .... إلى آخره من انتقادات وأحكام وأقوال ما أنزل الله بها من سلطان لن تفيدنا بشيء ولا تُنقصنا أيَّ شيء، قفوا مع أنفسكم قليلًا قبل أن تحكموا على أحد، فكروا .. هل تملك أنت مفتاح الجنة؟ هل ضمنت أيًّا من تلك الأماني التي تُمني بها نفسك؟ أنت مخلوق مثلك مثلهم بالضبط .. سواء كان مسلم أو مسيحي أو يهودي لنا جميعًا خالق, سوف نقف بين يديه في يوم معلوم سوف يحاسبنا فردًا فردًا؛ (يَأَيُّهَا الذين آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنْفُسَكُم)، هل تعلمون ما هو الكبر الخفي بالقلب؟ هو أنك تؤمن أنك قد نجوت وغيرك قد هلك، وهذا أخطر من أي ذنب آخر بعد الشرك.

لماذا نضيع أوقاتنا في محاسبة الآخرين وتقييمهم وعدم استغلال تلك اللحظات في تقييم أنفسنا وتحسينها، التقييم لأنفسنا ليس من باب إعجاب الآخرين بنا أو لنظهر بصورة ما في أعينهم هم، ولكن لنرضى عن أنفسنا أولًا فيرضى الله عنا.

كثيرون منكم قد أتوا إلى هذه الرحلة وهم يحملون أثقالًا ليست بأثقالهم؛ بماضٍ سحيقٍ ما زال يسحقهم، بذكرياتٍ أليمةٍ ما زالت تؤلمهم، وبمستقبل مُبهَمٍ ما زال يشغلهم .. من منكم فكَّرَ في اللحظة الحالية والتي هي وهي فقط ما يستحقُّ منه كل تقدير واحترام؟!

عيشوا لحظتكم الحالية فقط، انسوا الماضي وتناسوه فعلًا وقولًا، وفكروا في المستقبل من زاوية واحدة فقط وهي ماذا أريد أن أكون؟ واجعلوا حاضركم هو خارطة الطريق لتلك الصورة التي تودُّون أن تكونوا عليها.

احلموا وشاهدوا حلمكم قد تحقق، ليس بأمانيٍّ ولا أحلام بل هو

واقـع ترونـه عـين اليقـين، اتركـوا النـاس لـربِّ النـاس، واعملـوا على أنفسـكم، تعلمـوا وتدبـروا لأن الحيـاة تسـتحق أن نعلـم عنهـا الكثـير لنعيشـها كـما قُـدِّرت هـي لنـا.

الآن تصبـح الإجابـة عـن أسـئلتي الأولى موضـع اهتـمام، ولكـن سـوف نؤجلها إلى مـا بعـد الوصـول وتنـاول وجبـة الإفطـار والتـي طغـت رائحتها الآن في الآفـاق فتوقـف العقـل عـن أي تفكـير.

قالـت مـيرا الجملـة الأخـيرة وهـي تبتسـم، وقـد وصلـوا أخـيرًا إلى بوابـة الحيـاة، مدخـل الجزيـرة، محميـة (أبـو جلـوم).

عندمـا تجمعـت المجموعـة كاملـةً مـا بـين مترجـل أو قـادم مـن البحـر أو عـلى ظهـر جمـل، كان الشـيخ عـواد البـدوي وصاحـب التعريشـة والتـي تفضـل مـيرا اصطحـاب أصدقائهـا عنـده وقـد حـضر لهـم المتـكأ البـدوي وفـرش الطبليـات الصغـيرة بالإفطـار.,

كان النهـار قـد اقـترب مـن منتصفـه وبالرغـم من هـذا فقـد كان الطقس رائعًـا ويحمـل طيـات نـدى مـن البحـر مليئـة بـالأسرار التـي تفتحـت لهـا الآن العقـول قبـل القلـوب، وبـات جليًّـا لـكل فـرد مـن المجموعـة أن قـد شـارف عـلى اكتشـاف كنـزه الحقيقـي، وقـد سـاعدت الطبيعـة الخلابـة في هـذا المـكان الرائـع عـلى قمـة الإحسـاس بالسـعادة والنشـوة للجميـع.

نعـم بلدنـا جميلـة وبهـا الكثـير والكثـير مـن الأماكـن والتـي لا نعلـم عنهـا أي شيء.

قالـت إبتسـام في شيء مـن الحـسرة وهـي تنظـر إلى البحـر ومحاطـة بالجبـال مـن الخلـف والأمـام، منظـر يقشـعر لـه الأبـدان، كأنهـا جلسـت للتـوِّ في حـضرة المحبـوب، شـعور غريـب يـسري بداخلهـا، وكأنَّ كل طاقـات الحـب في الكـون قـد تفجـرت، تـراه رأي العـين، شـابٌّ أسـمر جميـل، يخـرج مـن البحـر فـاردًا ذراعيـه، يضمهـا بشـدة فتـذوب عشـقًا بـين ضلوعـه، قبلـة حانيـة تشـعل النـيران في دمائهـا، ونفـس عميـق يخـرج مـن رئتيهـا كأنـه قـد

حُبس منذ آلاف السنين.

أغمضت عينها حتى لا ينتهي هذا الحلم بما يحمله معجزات، تحدث لها في هذه اللحظة، والغريب أن هذا الأسمر قد زار الجميع في نفس اللحظة وكلًّا على حدة؛ حنان وصفاء، حتى سلمى الشابة الصغيرة!

من هذا؟

لا يهم الآن

الأهم هو هذا الشعور الرائع المثير، والذي كانوا جميعًا يفتقدونه بشكل ما

الحب!

الحب ومشاعره وأحاسيسه هي التي تحيينا

الحب هو كنزنا المفقود، ندور وندور في هذه الحياة ونحن نبحث ونبحث ولا نعلم عن ماذا نبحث تحديدًا. نختبئ وراء متطلبات حياة هاوية من أموال وأولاد وأشكال غريبة من البشر والعلاقات، ولكنه مُنانا. هو مطلبنا، هو ما يبحث بصدق عنه قلبنا وعقلنا في آن واحد، وعندما نجده تذوب كل الخيوط وتتلاشى ويبقي هو، الحب!

تركتهم ميرا في غفلتهم يأخذونها كاملة بدون أي تدخل منها، وذهبت إلى صخرة كبيرة في البحر، وقفزت تجلس عليها ونظرت هي الأخرى إلى البحر حتى خرج لها ذاته هذا الشاب الأسمر الجميل.

في رحلة العودة نصحهم الشيخ عواد باستقلال المركب جميعًا لأن المغرب قد قرب وهو لا يحب الرجوع سيرًا أو بالجمال في الظلام.

وعلى الفور امتثلت ميرا وخليل لرأيه فاستقلوا الزورق الصغير جالسين جميعًا في أرضه تتلاعب بهم موجات بحره في هدهدة أم رءوم بأولادها، والشمس قد توارت سامحة للقمر بالخروج فاحتفل الكون كله في هذه اللحظة بجمال الموقف وأخرج أجمل ما فيه مما انعكس

عـلى الجميـع بحالـة روحانيـة عميقـة جعلـت العيـون تضحـك وتدمـع في نفـس ذات اللحظـة، وسرت في القلـب مشـاعر بالراحـة والسـكينة والسـعادة التـي افتقدوهـا منـذ زمـن.

عندمـا وصلـت المجموعـة إلى الفنـدق في أمـان تـام، ودعتهـم مـيرا بابتسـامتها الفاتنـة عـلى أن يلتقـوا مسـاءً في التعريشـة البدويـة الخاصـة بالفنـدق، والتـي تلامـس ميـاه البحـر حتـى يكملـوا حديثهـم المتصـل.

إنَّ للرُّوحِ أذانًا تمكنها من سماع
ما لايسمعه العقلُ أو يُدركُه

اليوم الثاني مساءً
خالد

كانت الساعة تشير إلى الواحدة صباحًا في هذه الليلة الصيفية المنعشة، وكان الممشى يعجُّ بكل أصناف البشر ممتلئين بالحيوية والنشاط وكأنهم قد بدأوا يومهم الآن.

كانت المجموعة مكتملةً تسير على الممشى بعد عشاء السمك والذي كان من الطبيعي وبعد قضاء اليوم بالكامل ما بين بحر وجبل وكلام ميرا الذي ما يزال يسري بداخلهم سرى عطر نفَّاذ أخذ يسري بين جنباتهم منذ اختراقه قلوبهم قبل عقولهم.

كان من الطبيعي أن يذهبوا من فورهم إلى فراشهم ويغطُّون في نوم عميق، ولكن بعدما وجدوا اشتراكهم جميعًا في عدم رغبتهم ولو واحد على الألف من لقاء النوم، بل بالعكس تمامًا فكان إحساسهم ككل الموجودين على الممشي؛ وكأنهم استيقظوا لتوهم من نوم عميق وقاموا بكل همة ونشاط.

اقترحت منى أن يتمشوا قليلًا بدون قصد وجهة معينة على الممشى ويكتشفوا باقي المكان وما يحتويه من أسرار باتت الآن جاليةً أمامهم أنهم ليسوا في رحلة عادية قدموا إليها مطلوبين كما قالت لهم ميرا، ولم يكن كما اعتقدوا انهم هم من اختاروا القدوم إليها.

يحمل الآن كلٌّ منهم بداخله تساؤلات عدة، ويمر أمام أعينهم شريط حياتهم جميعًا قبل هذه الرحلة العجيبة، لم يكونوا يتحدثون أو يتناقشون كما حدث منذ قليل وهم يتناولون عشاءهم المختار من قبل عمرو والذي أرشدهم إلى مطعم السمك ووصى عليهم صاحبه والذي اهتم بهم اهتمامًا بالغًا وأجلسهم على مائدة مربعة تسعهم جميعًا تطل على البحر مباشرةً حتى أحسوا أنهم يجلسون على سطح

الماء وليس بجانبه!

ولكنهم بعد وقت قصير اكتشفوا أن صاحب المحل يعامل كل الداخلين إليه بنفس الطريقة والترحاب، ويقف بنفسه ليُنزل الأطباق ويقترح على كل فرد على حدة ما يطلبه ويمشي بين الجميع وعلى وجهه هذه الابتسامة الحقيقية والسعادة غير المفتعلة على الإطلاق، وينشر بوجهه المبتسم السعيد على كل زبائنه حالة من الفرح وكأنه أسقاهم ترياقه عند وضع قائمة الطعام بين أيديهم ومحادثته لطاقم عمله المكلف بخدمة هذه الطاولة بالذات بالاهتمام كأنهم أقاربه القادمون إليه بتوصية من الحاجة والدته بشخصها مدعومة بدعاء طويل له.

أخذ كل منهم يتذكر آخر ما قالته لهم ميرا وهم يستعدون للذهاب مع عمرو لتناول العشاء

- عدم التقييم، والإجابة عن السؤالين: ما مهمتي في هذه الحياه؟ وماذا أريد أنا منها؟

ثم تمنت لهم سهره سعيدة

ولم يخرجهم من أفكارهم وشرودهم إلا هذا الصوت الملائكي العذب الذي بات لهم واضحًا الآن كلما اقتربت خطواتهم منه؛ إنه صوت قوي حسَّاس تخرج كلماته من قلب من يغني وليس من فمه، أذهلتهم المفاجأة وشدوا إلى مكان الصوت شدًّا كأنهم مسحورين معصوبة أعينهم يساقون إلى المكان غصبًا.

ثم زاد انبهارهم عندما توقفوا جميعًا أمام مدخل المقهي بأناقته وشكله الذي لا يختلف عن باقي المقاهي والمطاعم على المشاية بشيء سوى براحة نفسية مضاعفة عن الباقين وبهدوء أضوائه بالرغم من كثافة ألوان زينته، ألوان دهب كما اعتادو رؤيتها سواء في الفندق أو في كل محلات ومقاهي المشاية.

أخذتهم نداهة الصوت فدخلوا جميعًا بدون سابق اتفاق وكأنهم مأمورون بالدخول والجلوس، وظلت أعينهم معلقةً بهذا الذي يقف أمامهم وليس هناك مسرح أومنصة ولكنه يقف على نفس مستواهم وليس هناك بجانبه سوى منضدة خشبية ملونة يسند عليها حاسبه الآلي ويخرج منه أسلاكًا موصلةً بسماعات متوسطة الحجم، وبيده ميكرفون لاسلكي بسيط يبعده عن فمه من شدة صوته خشية أن ينفجر.

كانت الأيام في قلبي دموع بتجري
وانت تحلا لك دموعي وهي عمري
يا ما هانت لك وكانت كل مرة
تمحي كلمة من آمالي فيك وصبري
كلمة كلمة لما راح الهوى ويَّا الجراح
واللي آسيته في ليلي
اتنسى اتنسى اتنسى ويَّا الصباح

مع هذه الأغنية الرائعة وهذا الجوالصيفي الخلاب الخالي من أي درجات الرطوبة في هذا الشهر بالذات؛ شهر أبريل، بداية الربيع، ربما ربيع أعمارهم أيضًا هذا غير أن ضيَّ هذه الليلة شديدٌ؛ ليلة الرابع عشر من شهره، يُلقي بضيائه على سطح البحر فيجعل مياءه كأنها فرشت بقماش ستان فضي لامع، يحركه هواء صيفي خفيف فيجعله كفستان فتاة يوم عرسها تتخايل بها على عريسها، جو رائع يُذهب العقلَ ويشرح القلب، أهذا ما ذكرته ميرا؟!

- دهب ليس بمكان، دهب حاله ستعيشون معها وبها، ليس لها مثيل في أية بقعة على أرض الله الرحبة، وسنتكلم في لماذا هي كذلك بعد أن تستشعروا ذلك بأنفسكم، ثم يحكي لنا كلٌّ منكم بماذا شعر ومتي؟

ظل تعلق أعينهم بهذا المطرب واتسعت ابتسامتهم البلهاء من فرط الإعجاب والاستغراب ودخولهم جميعًا كالمجاذيب وجلوسهم بدون أن يتحسسوا أماكنهم جعل هذا المطرب وعند انتهائه من هذا المقطع ينظر إليهم جميعًا ويبتسم ابتسامة حارة مبهجة مع انحناءة بسيطة من رأسه كشكر وتقدير لحضورهم.

كان رجلًا على حسب ظنهم أنه في أوائل العقد الثالث من عمره، ذا قوام ممشوق ورشيق، يزيده طولًا على طوله، ذا بشرة خميرة تميل

إلى الاسـمرار، لا يعلمـون إذا كانـت هـذه طبيعتـه أم أنَّ هـذا مـن تأثـير البحـر والشـمس عليـه ككل قاطنـي دهـب؟

عينـاه واسـعتان بلـون بندقـي فاتـح مـع شـعر مشـدود مـن الإمـام ومعكـوف بربطـة خلـف ظهـره عـلى شـكل ذيـل حصـان قصـير، ويرتـدي في عنقـه ثـلاث سلاسـل خشـبية تُـرى لهـم مـن بعـد أنهـا سِـبَحٌ بألـوان مختلفـة وكذلـك يلـف عـلى معصميـه مـن الناحيتـين نفـس السـبح بحباتهـا الخشـبية الكبـيرة.

ملابسـه لا تختلـف عـما بـدوا مقتنعـين بأنـه الـزيُّ الرسـميُّ لأهـالي دهـب؛ تيـشرت قطـن لا يعلمـون لونـه عـلى التحديـد إذا كان رماديًـا أو أزرق بهتانًـا مـن جـرَّاء الشـمس وملـح البحـر عليـه، وشـورت مـن قـماش الكتـان لا يصـل إلى مسـتوى ركبتيـه، ثـم حـذاء ريـاضي خفيـف بـدون جـورب.

لبـسٌ بسـيطٌ ولكنـه متناسـق الألـوان ويليـق بشـخصية صاحبـه، لكـن ليـس هـذا فحسـب مـا شـدهم إليـه، غـير صوتـه مـن قبـل رؤيتـه ومـن ثـمَّ رؤيتـه والتحديـق في مظهـره وشـكله، ولكنهـم وجـدوا أنفسـهم جميعًـا ينظـرون فيـه إلى أبعـد مـن هـذا.

النهارده الحب والشوق والحنان

لما تسألني أقولك كان زمان

لسه فاكر كان زمان كان زمان

كان يبعـد الميكرفـون عـن فمـه قـدر المسـتطاع فيخـرج صوتـه قويًّـا بالرغـم مـن ذلـك، وتخـرج كلماتـه ولحنـه مضبوطًـا مئـة في المئـة، حتـى ظنـوا لوهلـة أنهـم يسـمعونها مـن السـت أم كلثـوم بنفسـها مـع اختـلاف الشـكل.

ثمـه شيء عجيـب يخـرج مـن بـين صوتـه وعينيـه، شيء أحسـوه ولم يروه، وصـل إلى قلـب كل واحـد فيهـم عـلى حـدة ولم يصرحـوا بـه فيـما بينهـم

في وقته، هذا الشيء الذي رأوه في ميرا بعد أول لقاء معها، هذا الذي ظهر بعضه من عمرو وخليل وصاحب مطعم السمك.

لم يحددوا بالتحديد ماهيته، مكنونه، ماذا حلَّ بهم وبقلوبهم تجاه هؤلاء البشر الجدد عليهم؟ ما هذه الهالة التي تغلف الجميع؟ ماهية الشعور الذي يظهر على تقسيمات وجوههم جميعًا؛ حب، سعادة، امتنان، رضا، فرحة؟ ربما كل هذه المشاعر مجتمعة.

لا أحد مما رأوا ممن يعيشون في دهب إلا به أكثر من ثلاثة مشاعر إن لم تكن مجتمعة، ما تلك المشاعر الجميلة؟ لماذا؟ ما سر هذه الأريحية التي يعيش بها أهل دهب والقاطنين بها أين هذا الغضب والزهق والشرود والعصبية التي لم يعودو يرون غيرها في مدنهم الحديثه؟ أين هذا النَّفَس المخنوق والذي يحاول الصعود من بين جنباتهم ليل نهار ويأبى إلا أن يخرج بصعوبة بالغة ترهق النفس قبل الجسد، أين هي هذه العوادم الخانقة والتي اعتادوا عليها بالفعل، حتى إنه بات الجو النظيف من الغرائب الآن.

تركوا تساؤلاتهم المُلِحَّةَ في معرفة سر هذا السِّحر أو ما حلَّ بإحساسهم تجاههم، وآثروا الاستمرار في الاستمتاع بالأغنية الآن حتى لا تضيع منهم ويفقدوا هذا الشعور الذي جعل شعر أيديهم يقشعر من حلاوته وعذوبته وتغلغل الكلمات واللحن بداخلهم كأنَّ مياه البحر قد قررت الوصول إليهم من على بُعد أقل من مترين وتغطيتهم بمائها، في لحظة انتعاش حقيقية وصفاء نَفْسٍ غريبٍ ورعشة تسري بأجسادهم تجعل شفاههم جميعًا منفرجة، لا يعرفون الآن كيف يغلقونها ولا يهتمون.

لا أعلمُ ماذا يخبئُ لي الغدُ
ولكنني خبأتُ له حُسْنَ الظَّنِّ بالله

هدية

بعد أن زارها شيخها الحبيب وزوجته في منامها، قامت هدية ينتابها هدوء عجيب، بعد أن نامت عينها مليئة بالدموع وقلبها يكاد ينفطر من الحسرة كلما تذكرت ظُلْمَ البشر لها ولبناتها من إخوة زوجها المرحوم إلى أهالي المنطقه الذين استكتروا عليها وعلى بناتها عيشة كريمة وسطهم لأطماع دنيوية بحتة.

قامت من فورها وصلّت فرضَها ولملمت الأشياء البسيطة التي أتوا بها من غربتهم، وأيقظت بناتها بابتسامة حانية وبهدوء استغربوه

- حنروح فين يا ماما؟

سألتها الكبرى بعينٍ متورمةٍ من كثرة البكاء والذي نامت عليه تدعو من كل قبلها على من كان السبب فيما آلت إليه ظروفهن.

- متخافيش، اللي خلقنا عمره ما ح ينسانا.

ردت هدية بنفس هدوئها الذي استيقظت عليه وقالت:

- توكلنا على الذي لا يغفل ولا ينام، وأشهدك ربي أني قد سامحت من قلبي كل من ظلمني، اللهم ردهم إليك ردًّا جميلًا.

همت الكبرى أن تصرخ من شده الغضب والاعتراض ولكن هدية والتي تفهمها جيدًا وضعت يديها على فهما مانعةً إياها من الاعتراض.

عندما خرجت هدية وبناتها إلى الساحة القريبة من شارع سيدي جابر بجوار محطة القطار لم تكن تعلم تحديدًا إلى أين تذهب، ولكن قلبها يطمئنها أنَّ ترتيب الله لها خير من ترتيب البشر. وقفت بجوار سيارة (بيجو) ما زالت تُحَمِّلُ أفرادَها، وسمعت قائدها الشاب يقول: دهب دهب دهب!

فاسبشرت خيرًا بالكلمة وهي التي كانت لا تعلم عن دهب كمكان أي شيء!

فقالت له مبتسمة:

- احنا أربعة.

استغرب البنات بشدة وهم أيضًا لا يعلمون ما هية دهب تلك!

- اتفضلي يا ست الكل، يا فتَّاح يا عليم يا زاق يا كريم يا رب.

قالها السائق بنفس الابتسامة والرضا.

هكذا كانت البداية لهدية وبناتها، دهب هي من قادتهم إليها وهم لا يعلمون عنها شيئًا، ولكنهم اختيروا، وتوالت عليهم الأسباب الربانية منذ قدومهن أول ليلة في دهب ومعرفتهن بميرا والتي كانت مشهورة باستقبالها الوافدين الجدد وتيسير كل السبل المتاحة لهم من توفير سكن وعمل بعد أن تسمع حكايتهم وما أسباب قدومهم لدهب.

وبعد أن حكت هدية لميرا كلَّ ما مرَّ بها ما كان منها إلا أن قامت من فورها واحتضنتها حضنًا لن تنساه هدية ما حييت، حضنًا هوَّن عليها في لحظة كل الظلم والسواد الذي رأته في حياتها ومحاه محوًا.

وَفَّرَتْ ميرا في البداية لهدية وبناتها غرفةً من غرف العمال لديها ووعدتها بعد أن تتذوق أكلها أنها سوف تسعى لتأجير أجد المحال الصغيرة من الشيخ سالم شيخ العرب في منطقة المشاية والذي يملك الكثير من المحال هناك.

وبالفعل استقرت هدية وبناتها وبدأت في العمل من فورها، ولم تمر شهور قليلة حتى ذاع صيتها بين الجميع مقيم وزائر، حتى إنها بمساعدة خليل قد استطاعت استخراج أوراق رسمية لها ولبناتها بعد ان حكى خليل للمحافظ قصتها، وبعدها عرض عليها أن تكون الأم المثالية منذ شهور قليلة مضت في احتفال المحافظة بعيد الأم، إلا أنها رفضت تمامًا وقالت لخليل:

- أنا بحاول أنسى وأعيش والحمد لله اللي وفقني بمعرفتك أنت وميرا، عمري ما ح اتاجر بقصتي.

إلا أنه كان هناك شيء واحد ما زال يعكر صفوها ألا وهو تعليم البنات.

في تلك الليلة والتي جاءتها ابنتها الكبرى والوسطى تزفان إليها أنهما قد أتمَّتَا الكُورس الأول من الغطس تبعًا لإحدى كبريات الشركات العالمية والمشهورة بامتحانات الغطس للمتدربين الجدد، والذي ساعدهما على اجتيازه عبده شيخ الغطاسين بدهب. وقفت هدية وعلى لسانها كلمة واحدة:

- والشهادة؟! امتا ح ترجعو تكملو تعليمكم؟

- وعمل إيه التعليم يا ماما للي معاهم شهادات؟ م حضرتك شايفه آهو، أغلب الشباب هنا تعليم عالي وجاي يدور على فرصة وبيشتغل أي حاجة ، مش بالتعليم يا مي صدقيني.

احنا بنحب الغطس وخلصنا مرحلة القراية والكتابة من زمان يعني مش جهلة، والتلات سنين اللي عشناهم هنا خلونا كمان بنتكلم لغات حتى لو فك خط، على الأقل دلوقت بنعرف الروسي من الألماني من الإنجليزي وبنعرف نتعامل حتى مع اليهود، عوزه إيه تاني بقي.

أرجوك بقي اقفلي الموضوع دا، مش ميرا كمان قالت لك سيبيهم يعملو اللي هما بيحبوه، احنا بنحب الغطس وبنساعدك في المحل وأكلنا حلو زي أكلك وبنتعلم من الدينا حولينا كتير.

صدقيني يا ماما احنا أحسن من غيرنا كتير وربنا كرمنا آخر كرم، افرحي علشانا بقي ومتخليش حاجة في الدنيا تشغلك، مش حضرتك دايمًا بتقولي لنا كدة؟ افرحوا ومتخليش حاجة في الدنيا تشغلكم؟!

قالتها الفتاة التي نضجت قبل الأوان وذهبت إلى المذياع تشغله لتجد أغنيه الملك محمد منير

متخليش حاجة توفقك
متسبش الدنيا تكتفك
اقفل باب حزنك ع الآخر
وافتح باب الفرصة وعافر
كل الحدوتة شوية مجهود
كل المفروض مرفوض

ضحكت هدية وابنتها بصوت عال عند سماع الأغنية وتشابكت أيديهما وهما ترقصان وتغنيان معه بصوت عال.

ما أجملها الرسائل الربانية التي تأتي في وقت نحتاج إليه فيها بشدة!

في المساء عندما أتمت هدية صلاتها سجدت لله شكرًا وامتنانًا، ولم تنس كعادتها كل ليلة أن تدعو لمن ظلمها وتشهد الله أنها قد غفرت لهم فعلتهم جميعًا بل تدعو الله لهم بتوسيع أرزاقهم، وتنام قريرة العين.

يُوجدُ نوعان من الآلام
نوعٌ يؤلمك
ونوعٌ آخر يُغيِّرك

خالد وشريفة

كـم هـي جميلـة دهـب، وكـم يـزداد هـذا الجـمال بهـاءً في اليـالي القمريـة! وكيـف يضـاء الكـون مـن حولهـا بلـون فـضي لامـع ينعكـس عـلى كل شيء حتـى تشـعر أنـه يـضيء وجـوه البـشر.

عـلى الممـشى في مسـاء هـذا اليـوم كان خالـد يغنـي للقمـر، كان يتخـذ زاويـة في ركنـه الخـاص بهـذا المقهـى مـما يتيـح لـه النظـر إلى البحرمنـذ لحظـة غـروب الشـمس وسـطوع القمـر حتـى مـن قبـل الغـروب الـكلي للشـمس .

عـادةً مـا يغنـي خالـد بعـد العـاشرة وعندمـا يمتلـئ المقهـى بـرواده، ولكـن اليـوم ك كل شـهر في ميعـاد اكتـمال القمـر يبـدأ خالـد الغنـاء في لحظـة الغـروب، حتـى وإن لم يكـن هنـاك أي شـخص يسـتمع لـه أو يجلـس في المقهـى.

بشـورته الباهـت وفلنتـه السـوداء بحمالتهـا العريضـة والتي تُظهـر بدقة مـن ضيقهـا عضلاتـه البـارزة مـن بطنـه وعضـلات ذراعيـه المقسـمة والتـي تعطـي لـه جاذبيـة خاصـة، غـير عقـوده الملفوفـه حـول عنقـه ومعصميـه.

ليلـة اكتـمال القمـر ليلـة غيرعاديـة لـدى خالـد، ولهـا عنـده طقـوس خاصـة، غـير أنـه لم يتقيـد بأغـان معينـة لا لهـذه الليلـة أو في أي ليلـة عاديـة.

فخالـد لا يحـضر أي مـن أغانيـه، هـو فقـط يحـضر كأسـه اليومـي مـن خليـط الفـودكا الممـزوج بعصـير البرتقـال وسـيجاره الفاخـر، ويجلـس وجهـه للقمـر الـذي بـدأ يأخـد مكانـه في منتصـف سـطح البحـر ومـن خلفـه الجبـال في أبهـى صورهـا.

وعندما اندمج وجهه ووجه القمر انسالت دموعه في صمت وهو يتذكر جني حبيبته الفرنسية ذات العيون الزرقاء والقلب نفس لون البشرة أبيض بلون الثلج وشعر أسود فاحم وناعم طويل، جني التي تعرَّف إليها وأحبها منذ اللحظة التي وقعت عينه عليها وكان ما زال يبحث عن فرصة يقدم من خلالها موهبته، وأحبته وسافر إلى أهلها في فرنسا ليتقدم لها ويتزوجا.

تذكر كيف طرده بعد أن احتقره أبوها المليونير الفرنسي المتعصب، هربت معه ولكن رجال أبيها كانوا يلاحقونهما، لم يستطع استعادتها، لم يستطيع حمايتها، ورحل إلى مصر مهددًا بالمخاطرة على حياتها قبل حياته، وما أن وصل إلى القاهرة حتى علم من صديقتها المقربة بموتها منتحرة تاركةً خطابًا له أنها انتحرت لترسل إليه روحها لتعيش معه وبه بعد أن حرموا جسدها منه.

فلنعش أرواحًا محلقةً لا نخاف ولا نهاب ولا نخشى!

- لو كنت بس ساعتها عارف ..إن دي المرة الأخيرة

ميه ميه كانت ..ح تفرق في الوداع

لو كنت بس ساعتها ...عارف كانت ح تفرق في الوداع

كل الشوارع والمباني

اللي مش ح ادخها تاني

والأغاني اللي سمعتها دندنها من مرة واحدة.. من السماع

يا كل حاجة كسبتها أو سبتها

مقدرتش اشبع منها اكمنها

قالت ح نروح من بعض فين

يا ناس يا عبط يا عشمانين

فرصة تانية للقا

بطلوا أوهام بقى

كفاية أحلام واسمعوا
عيشوا بذمة وودعوا
كل حاجة بتعملوها
وكل حد بتشوفوه
عيشوا مشاعر كل مشهد زي ما يكون الأخير
اشبعو ساعة الواداع، واحضنوا الحاجة بضمير
دا اللي فاضل مش كتير
اللي فاضل مش كتير

أنهى خالد أغنيته الجميلة الحزينة والتي كان يغنيها لنفسها فقط ولكن بصوت وشجن جمع عددًا كبيرًا من الأشخاص ممن كانوا يمرون بالصدفة من أمام المقهى وكان من بينهم شريفة.

جلست شريفة في صورتها الصبيانية على إحدى الطاولات وطلبت فنجانًا من القهوة، وظل نظرها معلقًا بخالد وكلمات أغنيته يتردد صداها في أذنيها، حتى لاحظ خالد وأتى من فوره بعد أن انتهت لحظات تعلقه بالقمر ومشاعره الفياضة والتي تجتاحه من حين لآخر وخصوصًا وقت اكتماله.

- مساء الخير.

قالها خالد وهو يجذب الكرسي المقابل لشريفة ويجلس عليه فورًا بدون استئذانها؛ فقد حركت بداخله شيئًا واستشعر أنها تواجهها مشكلة ما.

- مساء الفل، صوتك جميل أوي بصراحة.

قالتها شريفة وهي تبتسم لخالد وترتسم على وجهها ضحكة تريد أن تعبر عن سعادتها واستغرابها في نفس الوقت من اختصاص خالد لها والقدوم للجلوس معها.

وبعد الترحاب والتعريف دار حديث طويل بينها في مواضيع شتى حتى تجرأت شريفة بسؤال مباغت لخالد:

- مش حرام الصوت دا يدفن هنا؟ أنت مكانك مش هنا أنت عالمي أقسم بالله أنا عمري ما سمعت صوت بالقوة والجمال لا وأكتر بالإحساس والمشاعر دي، أنا أقسم بالله حسيت للحظة أني مش على الأرض.

سألته شريفة بدون تفكير وإن كان ظهر عليها التردد والإحراج بعد أن قالت ما قالت.

- انتي مش سمعتيه وعجبك وجيتي وقعدتي واتبسطتي، يبقي إزاي دا مدفون؟

رد عليها خالد وهو يشعل سيجارته ويبتسم ابتسامة تريح شريفة من تأنيب ضميرها من وقع هذا السؤال عليه.

ثم أردف خالد قائلًا:

- بصي يا ستي لا الشهرة ولا العالمية ولا الفلوس هما سبب السعادة زي ما أنت متخيلة، الناس دي مع كامل احترامي ليهم محبوسين في قفص شهرتهم، مش ناس عادية زي وزيك، حركاتهم بحساب وحياتهم الخاصة مباحة والمنافسة والمكانة وحساب البنك والعربيات وألماظ وووو ....

كل دا واللي الناس مبهورة بيه، أنا بالنسبة لي سجن بس شكله حلو، لكن يبقى في الآخر سجن، وأنا واحد ربنا خلقني حر، ليه أسجن نفسي في قفص الشهرة والنجومية، ولا أقضي يومي في حسابات منافسة ومكايدة ووجع أعصاب بيسحب مني ومن أعصابي أكتر ما بيديني، طب ليه؟ تعرفي كام مغني عالمي ومات منتحر أو بأوفردوز مخدرات، ألفس برسلي، مايكل جاكسون، تعرفيهم؟ وغيرهم كتير

لكن أنا ؟ أنا ملك زماني بمعنى الكلمة.

ثم استطرد خالد قائلًا:

- قولي لي يا شريفة .. إيه هي السعادة من وجهه نظرك؟

همت أن تفتح شريفة فمها وقد بدأت خلجات وجهها بالانقباض كأن تذكرت فجأة مأساتها وما يدور بداخلها ولا يعلمه أحد سوى الله، وتنفست نفسًا عميقًا كاد أن ينتهي بصرخة مسحوبة بكل أسرارها التي كانت تود أن تبوح بها على هذه الطاولة الآن وأمام خالد هذا الذي لم يدم معرفتهما ببعض إلا قليلًا:

- السعادة؟!

نطقتها شريفة ولم تعقب.

فباغتها خالد بما يجول في صدره:

- السعادة يا عزيزتي قرار، احنا اللي بنختار إننا نبقى سعداء أو العكس، السعادة إنك تعيش كل لحظة زي ما تكون الأخيرة، قدر نفسك أنت، متستناش الناس هي اللي تقدرك، حب نفسك زي ما هي، متستناش الناس هي الي تحبك الأول، أنا يا شريفة قررت أحب نفسي وأقدر نفسي، ومش مستني حاجة من أي مخلوق على الأرض، ودا مش بس علشاني، دا علشان الروح اللي سكناني!

- روح سكناك؟؟

وقبل أن تكمل جملتها الاستغرابية، سألها خالد:

- انتي قابلت ميرا؟

- لا، ميرا مين؟

- ميرا دهب، لازم تقابليها، ح تساعدك زي ما ساعدتني وزي ما ساعدت كل القلوب المجروحة واللي بتيجي دهب تحاول تداوي جرحها.

رد خالد وبدون أن يعلم علة شريفة الحقيقية، ولكن كما يبوح البحر بالأسرار في دهب، تبوح النفوس التَّوَّاقَةُ للنجاة بعضها لبعض.

لم يُـدركْ الكثـيرون ممـن فشـلوا في حياتهـم كـم كانـوا قريبـين مـن إدراك النجـاح حـين يئسـوا مـن الاسـتمرارفي المحاولـة.
توماس أديسون

اليوم الثالث

اعتادت المجموعة على أن ينامـوا ثلاث أو أربع ساعات فقط كل ليلة ويستيقظوا في السادسة في منتهى النشاط والحيوية، كما اعتادوا على رؤية ميرا صباحًا وهي تمارس رياضة اليوجا على صخرة على حافة البحر، ورؤية ليلى وعمرو وهما يمارسان رياضة ركوب الدراجة في الخامسة والنصف بطول الممشى ومن ثمَّ يبدآن عملهما من السادسة والنصف وهما في قمة النشاط والاستعداد ليوم جديد.

وهكذا لاحظوا أنَّ أغلب الدهبوية يستيقظون مبكرًا، ويمارسون نشاطًا بدنيًّا أغلبه ركوب الدراجة على المشاية، أغلب الكافيهات تغلق حتى الرابعة مساءً ماعدا بالطبع المحال المشهورة بالإفطار مثل (جيرمن بيكري) ذات الإفطار الأوروبي الشهير بكل المعجونات والمخبوزات الطازجة والتي تشتم رائحتها من قبل المكان بمسافة طويلة.

والغريب أنَّ كل الشباب العاملين به يتحدثون أكثر من لغة ومن أصحاب الشهادات العالية، ويحبون محلهم وعملهم بشكل كبير يظهر بينهم وبين زبائنهم.

و(يم يم) صاحب أحلى فول وطعمية بدهب والمسئول عن إفطار عدد كبير من الأهالي والزوار، وأغلب المحال بالسوق التجاري والموازي للمشاية تفتح منذ الصباح الباكر حتى محل (سبيط عم جمعة) الشهير والذي يجب أن تنسى طعم السبيط الذي تتناوله في القاهرة لأنه لا يمت له بصلة من قريب أو بعيد؛ فالأسماك عمومًا في دهب تختلف تمامًا؛ حيث إنها طازجة بشكل دوري فلا تخزين ولا تجميد، من البحر للمائدة مباشرة.

تتنوع المطاعم في دهب بكل الأشكال من الإيطالي والذي يشتهر به محال (رامز وباولا) و(أثانور) وما بين الصيني والهندي والمكسيكي تجد الكثير، ففي دهب تجد إرضاءً لكل الأذواق وبكل الأسعار.

عندما اجتمعت المجموعة على مائدة الإفطار في التعريشة الخارجية للفندق والتي تلامس ماء البحر مباشرة كانت ميرا قد انتهت للتوِّ من أداء تمارين التأمل وبدأت في قمة نشاطها مثل كل يوم، على وجهها نفس الابتسامة المريحة التي تدعو للتفاؤل وحدها ونشاطها البدني الواضح، انضمت إليهم.

كانت صفاء وإبتسام وسلمى الشابة اليافعة المقبلة على الحياة بكل ما أوتيت من قوة يجلسن على يمينها.

صفاء: أنا مش مصدقة إن الأيام خلصت بسرعة كده، معقول النهارده آخر يوم، يعني بكره ح نرجع مصر؟!

إبتسام: اللي يشوف حضرتك يا ماما دلوقت ميشفكيش لحظة ما وصلنا.

سلمى: وأنا كمان يا أنا زعلانة أوي، مش عوزه أروح، خلينا نقعد كام يوم كمان.

وعلي يسارها نجوى وحنان.

حنان: نجوى يعني مشفتكيش بتكلمي العيال من امبارح؟

نجوي: ما أنا كمان مشفتكيش بتفتحي الصفحة وتسألي عنها.

وبجانبهم لمياء وناهد تجلسان في صمتٍ ناظرات إلى البحر طويلًا قبل أن تسأل ناهد لمياء:

- بتفكري في إيه؟

- بفكر أطلب الطلاق وأصفي الشركة نهائيًا وآجي أعيش هنا، وأنت؟

- أنا مش عارفة لسه، في دماغي مليون حاجة فجأة، وفجأة كل

عيـالي وحشـوني وعـوزه آخدهـم في حضنـي وأفضـل متشـعبطة فيهـم.

كـنَّ جميعًـا ينظـرن إلى بعضهـن البعـض كأنهـنَّ يحاولـن قـراءة مـا يدور بداخلهـن؛ هـل لاحـظ الجميـع اليـوم صباحًـا تغـيرًا في الأشـكال والوجـوه، تغـيرًا في تعبيراتهـن، هـل بـدأت السـعادة تعـرف طريقهـا إلى تلـك النفـوس، هـل مـن يومـين اثنـين بـدأ الفـرق واضحًـا عليهـن، وكيـف؟ سـؤال ظـلَّ مبهـمًا وإجابتـه لم تضـح بعـد.

- صباح جميل مشرق.

قالـت لهـم مـيرا قبـل أن تبـدأ في الجلـوس وسـطهم وتدعوهـن إلى تسـمية اللـه قبـل البـدء في تنـاول طعامهـن، ثـم قالـت:

- هـل فكـرت إحداكـن في كـمِّ النعـم التـي أعطاهـا لنـا اللـه، هـذا الطعـام إحداهـا، فتناولـوه بهـذا المعنـى قبـل أن يـسري بـين عروقكـن، وتأكـدن أنـه مهـما كان فلـن يضركـم أو يزيدكـن سـنتيمترًا واحـدًا، نحـن نجهـل كيفيـة التعامـل مـع نعـم اللـه كثـيرًا، ونسـمع لـكلام الأطبـاء، بمـا هـو مسـموح وممنـوع، فنعمـة اللـه كلهـا حـلال لنـا، فقـط استشـعروا هـذا المعنـى وتوكلـن عليـه حـق تـوكل.

صفاء: ميرا ممكن أسالك سؤال؟

ميرا: بكل ترحاب عزيزتي، فأنا هنا لأجيب عن الكثير من الأسئلة.

صفـاء: هـو إنتـي مبتضايقيـش خالـص؟ يعنـي مافيـش حاجـة بتوتـرك أو تزعـزك؟

مـيرا : صدقينـي لا ... وهـذا ليـس بـشيء سـهل ولم أكـن طـوال حيـاتي هكـذا بالطبـع، ولكنـي تعملـت كيـف أكـون سـعيدةً دائمًـا، تدربـتُ عـلى تغيـير الانفعـال السـلبي وجعلـه انفعـالًا إيجابيًّـا، درسـت وقـرأت في التحكـم في الغضـب وتوقيفـه قبـل أن يدمـرني، أيقنـت أن الحـزن سـلاح مميـت يخـرب كل أجهزتنـا الداخليـة فتصيبنـا أمـراض بالفعـل جـرَّاء الحـزن والبـكاء.

نجـوى: آسـفة عـلى المقاطعـة بـس مافيـش حـد مـش بيحـزن، لا قـدر اللـه لـو حـد عزيـز لديـه مـات مثـلًا، إزاي ميحزنـش، النبـي عليـه الصـلاة والسـلام حـزن وبـكى عـلى ابنـه إبراهيـم؟!

مـيرا : وقـال لا أقـول إلا مـا يُـرضي ربي، نعـم عزيـزتي نحـزن ولكـن ليـس بالقـدر الـذي يميتنـا، نعـم نحـزن ولكنـي قلـت إن الحـزن سـلاح شـيطاني يحـاول أن يتملـكك وينهـش في جسـدك، فلنتـدرب عـلى وضعـه في حجمـه ومقـداره فقـط، ونعطـي لـكل شيء حقـه فقـط؛ (وَخَلَقْنَـا كُلَّ شَيءٍ بِقَـدَرٍ).

نسـتطيع أن نتحكـم في انفعالاتنـا وهـذا بالتأكيـد سـيؤثر في قرارتنـا بشـكل إيجـابي لـو قررنـا نحـن ذلـك مـن البدايـة، قرارتنـا مـن داخلنـا.

سـلمى: تانـت طـب أنـا قـررت قـرار، أنـا مـش عـوزه أروَّح، أعمـل إيـه بقـى؟

ضحـك الجميـع وفوجئـت سـلمى بجدتهـا صفـاء تحتضنهـا مـن كتفهـا وتطبـع عـلى رأسـها قبلـةً حانيـةً وهـي تعدهـا بأنهـا في القريـب جدًّا سـوف تجـيء مـرة أخـرى.

إبتسـام وسـلمى بعـد هـذا الحضـن استشـعرتا كأنَّ غشـاوةً كانـت تحيـطُ بصفـاء قـد انزاحـت للتـوِّ!

حنان: حقيقي يا ميرا... وزي ما انتي عودتينا نندهلك بدون ألقاب.

ميرا: لا ألقاب عزيزتي بالطبع.

أكملـت حنـان: حقيقـي أنـا اتعلمـت منـك كتـير وفعـلًا بـدأت أحـس بتغـير كبـير في نظـرتي القـاصرة للحيـاة مـن قبـل الرحلـة دي.

هزت المجموعة رأسهن بالإيجاب وغمغم البعض:

وأنا كمان، وأنا كمان

الأقوى ليسَ مَنْ يفوزُ دَائمًا
بل من لا ييأسِ عندما يفشلُ

خليل وسلمى

في إحـدى الزوايـا وليـس ببعيـد عنهـن كان يجلـس خليـل ينظـر إلى الرسـالة التـي وصلتـه البارحـة ولم يسـتطع النـوم بسـببها، فوجـئ بسـلمى الشـابة الجميلـة التـي في عمـر سـارة تقريبًـا.

رفـع عينـه عـن الرسـالة ونظـر إليهـا، كـم تمنـى أن تكـون سـارة هـي التـي أمامـه الآن، عندمـا وجدتـه ينظـر إليهـا ضحكـت واقتربـت منـه:

- ممكن أقعد مع حضرتك شوية؟

- طبعًا يا جميلة دا شيء يشرفني، اتفضلي.

- أنـا بحسـدك عـلى فكـرة، وبحسـد أي حـد عايـش هنـا، بجـد أنـا عمـري مـا كنـت أتخيـل إن دهـب حلـوة أوي كـدة، دي أحـلى مـن إيطاليـا، أنـا أصـلي سـافرت عنـد بـابي مـرة واحـدة إيطاليـا مـكان ماهـو عايـش، وكنـت فاكـرة إن دي أحـلى حتـة في العـالم. مبتسـمةً أكملـت: يمكـن علشـان مسـفرتش بـره غـير المـرة دي؟!

- باباكي مش عايش معاكم؟

- لا.

- وأنا كمان بنتي مش عايشة معايا.

- بصورة عكسية!!

ضحكت سلمى وبدأت تتحدث إلى خالد بقلب مفتوح:

- كتـير كنـت بلـوم عـلى ماما في سري إنهـا سـابته يسـافر ويبعـد عنـي، وكنـت طـول عمـري حاسـة إنـه مظلـوم، ومهـما سـمعت مـن أنَّـا مـش منهـا عـلى أد إيـه هـو وحـش وهـو الـلي سـبنا، مكنتـش بصدقهـا، بالعكـس كنـت مـن كـتر مـا هـي عصبيـة وجامـدة بقـول إنهـا بتفـتري عليـه أكيـد.

يعني إيه أحس لأي سبب في مواقف كتير في المدرسة أو في حفلات أعياد الميلاد أو في التمارين إن كل البنات معاهم أبوهم وأنا الوحيدة الي من غير أب، وهو عايش على وش الدنيا، إحساس صعب أوي لأي بنت في سني.

أفتقده بشكل مَرَضي، لدرجة إني كان بيجيلي كوابيس وأحس إني بغرق وخلاص بموت ونَفَسِي بينقطع وهو اللي بيجي وينقذني في آخر ثانية، كنت بصحى تعبانة جدًّا وجسمي كله بيوجعني، وعمري ما حكيت الحلم دا لحد.

مامي بتصعب علي جدًّا، بس عمري ما سامحتها، مكنتش بلومه لغاية ما سافرت له أول مرة وكانت آخر مرة، أنا اللي ياما اتحايلت عليه وصممت، ومامي هي اللي قطعت لي التذكرة وفهمت أنَّا إن هو اللي بعت الفلوس، كان لازم أروح علشان أفهم، علشان الظلم اللي كنت شايلاه في قلبي لأمي يروح، كان لازم أفكر ومخليشي هو حكمي، إزاي طول السنين دي ما أخدتش بالي إن مامي عمرها ما غلطت فيه بولا كلمة واحدة، إزاي كنت مبخدش بالي من دموع عينها وهي ساكتة ما بتدافعش عن نفسها لما برجع من كل تمرين أو حفله أصرخ فيها وأقولها إنتِ السبب.

لحد ما رحت له واكتشفت مدى أنانيته وكرهه لأمي وغلطه المستمر فيها وفي أنَّا، جشعه وبخله اللي باين حتى على بيته وولاده من الإيطالية، بجد زعلت، بالرغم من إني مقدرتش أكره بس زعلت عليه ومنه.

والأهم إني رجعت من الرحلة دي فاهمة كل حاجة، فاهمة إني ظلمت أمي، طلعت مظلومة مش ظالمة ودا فرق السما من الأرض، وطلع هو صورة أنا اللي رسمتها وعشقتها وهي خيال لا يمت للواقع بصلة، كان لازم أروح علشان أفهم، والحمد لله إني فهمت.

أخذها خليل بين ذراعيه وربَتَ عليها وعينها مغرورقتان بالدموع، يدعو الله أن يرشد سارة ابنته هي الأخرى للثواب والفهم كما فهمت سلمى .

بعد أن قامت سلمى لتلحق بالمجموعة مع وعدها لخليل أنها سوف تحضر في كل مرة يكون عندها إجازة إلى دهب وقالت كلمتها التي ظلت ترددها:

- دهب دي مش مكان ... دهب دي إدمان!

وجد خليل نفسه يرد على الرسالة ويكتب:

لن تعرفي الحقيقة إلا إذا حضرتِ... تعالي.. أنا في انتظارك، وسأرسل لكِ تذكرة الطيران، صدقيني احضري لنتكلم، وأعدك لن تندمي!

اعْرَفْ قِيمَتَكَ لأنك إذا لَمْ تفعلْ
فَلَن يعرفَها أيُّ أحدٍ آخَرَ

رحلة المركب

عندما اجتمعت المجموعة وبعد تناول وجبة الإفطار سويًّا جاءت ميرا وخليل ومعهما عبدو، وبعد أن تبادلوا تحية الصباح وبعض كلمات التقدير والامتنان على حُسْنِ الضيافة ونظافة المكان رغم بساطته وحب الجميع للجميع الواضح قال خليل:

- النهارده عندنا رحلة بحرية زي ما أنتم عارفين، ح نروح منطقة الميناء وح ناخد يخت كبير ح يمشي بينا حوالي ساعة ونصف في البحر وتحديدًا في منطقة اسمها (قبر البنت) ومتتخضوش من الاسم، الروايات عليه كتير لكن كلها أساطير.

مرة قالوا إنهاغزالة وبنتها وقعت من فوق الجبل وحزنت عليها لدرجة إنها قفزت وراها، ومرة قالوا إنها بنت بدوية رماها أهلها من فوق الجبل ليتخلصوا من عارها، المهم هناك ح نرسي باليخت أدام شبه جزيرة صغيرة ضهرها الجبل، ح نقضي اليوم كله هناك وح نرجع على الغروب.

معانا النهارده شيخ الغطاسين عبده واللي ح يعلمنا ويطمنا إزاي نغطس معاه وح نتفرج على البحر من منظور جديد، ح ندخل عالمه اللي منعرفش منه غير سطحه وح نعرف يعني إيه كلمة سبحان الله من قلبنا لما نشوف أشكال وألوان سمك وشعب وحيوانات بحرية عمرنا ما كنا نتخيل نشوفها على الحقيقة كده.

- بس أنا مبعرفش أعوم! ردت حنان في فزعٍ.
- مش محتاجة تعرفي تعومي علشان تغطسي. جاوبها خليل.
- وأنا كمان بيجيلي رعب ومش بعرف أتنفس. قالت منى.
- بصوا يا جماعة، الموضوع سهل للغاية، أنا عوزكم تطمنوا خالص،

إحنا ح نقعد على المركب وأشرح لكم كل حاجة، إزاي بنلبس العدة ونستخدم ماسك الأكسجين وبنتكلم مع بعض إزاي تحت وبإشارات معينة.

وصدقوني متخفوش خالص أنا بقالي ٢٥ سنة بغطس الناس وببقى معاهم وماسكهم ولو فيها مخاطرة وحد على مليون مش ممكن كنا ننزلكم. قال عبده بحماس وهو ينقل العدة إلى العربات في الاتجاه إلى الميناء.

على ظهر اليخت والذي كان يحمل اسم ميرا وقفت المجموعة لالتقاط بعض الصور، وقالت منى في سرها: ما شاء الله وعندها كمان يخت؟ يا ترى بتكسب كام لده كله؟

وسرعان ما قرأت ميرا ما دار في سر منى، أو ربما عرفت من نظرتها المطولة إلى اسم اليخت.

- سبحان الواهب، إرادته بين الكاف والنون!

قالتها ميرا وهي تمر بجانب منى بدون أن تلتفت إليها مما جعل الأخيرة تشهق استغرابًا.

على ظهر اليخت الفاخر ووسط مجموعة البحاره والشباب المساعد استلقى كلٌّ منهم على أحد الجوانب أو نام على المسطح، سرح كلٌّ سرحًا في جمال الخالق والطبيعية الساحرة من سطح ماء عميق يتحدث عما بداخله من أسرار لمن يحب أن يسمع أو يتعرف.

سماء صافية بها القليل من السحاب الأبيض الذي إذا أمعنت النظر فيه قليلًا ترى إحدى الجنيَّاتِ بعصاها تحكي قصصًا لأطفال صغار وتلعب معهم، ومركبًا خفيفًا يتأرجح بهم في خفة ودلال مساعدًا تيارات الهواء البارد أن تخترق كلَّ النفوس قبل الصدور.

عبده شيخ الغطاسين بدهب، رجل أقل ما يقال عنه إنه جميل، قلبه أشد بياضًا من الثلج، لا يهمه بالمرة كم يكسب؟ وفي ماذا ينفق؟

أخـذ الحيـاة مـن منطلـق: نحـن مـن نصنـع الأمـوال فـلا يحـق لهـا أن تتحكـم بنـا بـأي شـكل.

يعشـق مهنتـه إلى حـد الإدمـان، ومعـروف عنـه أنـه إن مـرَّ يومـان لأي سـبب بـدون أن يغطـس تنتابـه حالـة مـن العصبيـة الشـديدة تعقبهـا حالـة اكتئـاب حـاد، لا يعـرف للحيـاة معنـى دون أن يكـون في قلـب البحـر.

تـزوج مـن روسـية ولم تتحملـه وأخـذت ابنـه الوحيـد ورجعـت لبلدهـا، عنـده أمـل أنهـا سـوف ترجـع في يـومٍ مـا، ويتحدثـان معًـا مـن وقـت لآخـر.

تحبـه مـيرا كثـيرًا كـما تحبـه دهـب بأكملهـا، يعمـل ليـل نهـار؛ فهنـاك غطاسـون يهـوون الغطـس ليـلًا، ويسـتيقظ في السادسـة كل يـوم ليبـدأ عملـه المرهـق للغايـة ولكنـه بالنسـبة لـه كل الحيـاة، يحبـه حـد الجنـون، ولذلـك هـو مـن أمهـر وأشـهر غطـاسي دهـب عـلى الإطـلاق.

بعـد أن شرح لهـم عبـده كيفيـة الغطـس ولبـس العـدة والإشـارات تحـت المـاء بـدأت المجموعـة كلهـا في التجهيـز ولم يتخلـف أحـد، وتذكـر نظـرة ليـلى لخليـل في أول يـوم عندمـا قالـوا: نحـن لا نهـوى الغطـس وهـذا للأجانـب فقـط، وفهمـوا الآن سرَّ هـذه الابتسـامة التـي تعنـي (سـوف نرى)، وهـا هـم الآن جميعًـا بمـن فيهـم صفـاء الجـدة وحنـان المـترددة وهـما تتسـابقان؛ مـن سـوف يغـوص الأول؟!

لا تَيَأسْ..
فعادةً ما يكونُ آخرُ مفتاحٍ في مجموعةِ المفاتيحِ
هو المناسب لفتح الباب.

إبتسام

انـزوت إبتسـام إلى أحـد جوانـب اليخـت واسـتندت بيديهـا إلى سُـورِهِ وهـي تنظـر إلى البحـر في تركيـز كبـير، أخذهـا تفكيرهـا إلى زمـن ليـس ببعيد وهـي توافـق عـلى زواجهـا زيجـة كان كل همهـا فيهـا أن تهـرب مـن تسـلط أمهـا وعصبيتهـا.

وتحلـم بذلـك الشـاب الـذي سـوف يـأتي عـلى حصانـه الأبيـض ليطـير بهـا إلى مملكـة الحيـاة الورديـة؛ فبالتأكيـد أيـة حيـاة خـارج أسـوار مملكـة أمهـا هـي الجنـة بحذافيرهـا.

ولكـن مـا لبثـت أن اكتشـفت الحقيقـة؛ فهـي بالنسـبه لـه جسـد فقـط؛ يتمتـع بهـا ثـم يلقيهـا مُعَـيِّرًا إياهـا بالـبرود والتبلُّـدِ وعـدم مجاراتـه في لذاتـه ومنكراتـه.

ثـم مـا لبـث أن تطـوَّرَ الأمـرُ إلى تَطَاوُلـه عليهـا بالـضرب والسـباب جـرَّاء محاولتهـا اعتراضهـا عـلى شرب المخـدرات أمامهـا وقـد كانـت تحمـل جنينهـا الأول بـين أحشـائها، وعندمـا ضُربـت للمـرة لـلأولى في حياتهـا، وعندمـا حزمـت أمتعتهـا للمغـادرة، تذكـرت: إلى أيـن تذهـب؟ إلى بيـت أمهـا؟

لا، فهـي تسـتطيع الحيـاة تحـت أي ظـرف وفي أي شـكل إلا أن ترجـع إلى بيـت الدغاديـة ومـا تحملـه تلـك العائلـة مـن زيـف ووهـم يعيشـون فيـه ويتعالـون عـلى البـشر كل البـشر بحقـارة مفتعلـة وبزيـف واضـح، فقـد سـئمت الحيـاة المصطنعـة المتكلفـة والتـي ربتهـا عليهـا أمهـا ورأتهـا في كل حياتهـا في بيـوت الأعـمام والخـالات.

عائلـة كبـيرة متشـعبة؛ البنـت مـا زالـت لديهـم عـارًا يجـب أن يدفـن، حتـى أمهـا التـي عانـت مـن ابـن عمهـا والـذي هـو زوجهـا ومـن أبيهـا لم تكـن بأفضـل حـال منهـم، وكأنهـا شربـت الكـبر والكراهيـة والعصبيـة

الزائـدة عـن الجـد في لـبن أمهـا!

كانـت إبتسـام تبغـض العائلـة بـكل مـا أوتيـت مـن قـوة، وكانـت تحلـم بيـوم الخـلاص، وتتذكـر كيـف أنهـا دعـت اللـه إذا مَـنَّ عليهـا بالخـروج مـن هـذه العائلـة وأنجبـت فلـن تكـون يومـا مثلهـم، ولـن تـربيَ ابنهـا عـلى مـا تربَّـت وكـبرت عليـه.

تحملـت كثـيرًا لـتربيَ ابنتهـا الوحيـدة سـلمى، حتـى بعـد أن ظهـر الـزوج عـلى حقيقتـه؛ سـارقًا أموالهـا وذهبهـا وهـي الضعيفـة المسـتكينة، مسـافرًا تـاركًا إياهـما وحدهـما بعـد سـنة واحـدة مـن الـزواج وتـزوج مـن إيطاليـة وعـاش وأنجـب واختفـى إلا مـن بعـض التليفونـات القليلـة والتـي سـعت إليهـا سـلمى بنفسـها عندمـا وَعِيَـتْ وفهمـت أنَّ هنـاك في أرض اللـه لهـا أبٌ وإخـوةٌ، اضطـرت بعـد فـترة مـن الرجـوع وابنتهـا إلى بيـت أمهـا، ومـا زالـت حتـى قبـل هـذه الرحلـة تحـاول أن تلملـم أشـلاء نفسـها المبعـثرة.

إلى متـى سـتظل حبيسـة زوج ظـالم وأم مسـتبدة؟ لقـد شـمت رائحـة الحريـة، لقـد رأت أُناسًـا غـير الدغايـدة، مبتسـمين فرحـين، لقـد شـعرت بالحـب، حـب البحـر والجبـل والطبيعـة، حـب النجـوم والسـماء، حـب القمـر والسـهر معـه، حـب الحـب والحيـاة المفقـودة في صـوت خالـد وضحكـة خليـل وحـب مـيرا ونظرتهـا للحيـاة.

الآن شـعرت وأيقنـت أنهـا قـد فاتهـا الكثـير مـن حـلاوة هـذه الحيـاة، وأنَّ مـا زال في العمـر بقيـة يجـب أن تعيشـها، عـلى منطقهـا وقناعاتهـا، الآن شـعرت بابنتهـا ومـن يجـب أن تعيـش بينهـم؛ ليـس بـين أم مكتئبـة وجـدة عصبيـة متسـلطة، إن لابنتهـا عليهـا حقًّـا ولهـا عـلى نفسـها حـق؛ فالحيـاة جميلـة، واللـه يحبهـا إذ يـسَّرَ لهـا هـذه الرحلـة حتـى تعلـم وتـرى.

لا يزالُ المرءُ أُمِّيًّا حتى يقرأَ ذَاتَه
ولن يقرأَ المرءُ ذَاتَه حتى يُقالَ لقلبِهِ:
اقرأ.

الرُّومي

بعد وقتٍ طويلٍ من الغطس والعوم وبعد أن تناولوا وجبة الغداء من سمك طازج اصطاده بعضُ البحَّارة امامهم، جلسوا على ظهر المركب فيما يشبه الدائرة حول ميرا.

- الآن حان وقت الختام، ليس ختام الرحلة؛ فالرحلة مستمرة معكم إلى يوم مشهود، إن حياتنا ما هي إلا رحلة، الآن نتذكر سويًّا السؤالين:

- ما هي مهمتي في هذه الحياة؟

- وماذا أريد أنا منها تحديدًا؟

أعلم أنكم مختلفون إلا أنكم تجتمعون على شيء واحد؛ المشاكل، فكلنا محمَّلون بالكثير من المشاكل والضغوط ومنغصات الحياة، كثيرون منكم وأنا لا اعرف خلفياتكم تحديدًا ولكن هذا ما اعتدتُ عليه من كثرة ما رأيت في حياتي، وما تعلمته جرَّاء تلك الخبرات ونويت إن علَّمَني اللهُ من عِلْمِهِ ألا أبخل بهذا العلم وأنشره.

من منا لا يبحث عن السعادة المطلقة؟ العيش بدون مشاكل أو اضطرابات، وإن سيطرنا أو حاولنا أن نسيطر على أنفسنا، فكيف بمن حولنا وما يسببونه لنا من أذى؟

أنا لا أعلم تحديدًا ماذا تحملون بين جوانبكم من هموم ولكني أعلم أنني أستطيع أن أُزِيحَ عنكم الكثيرَ وأُنيرَ لكم شُعْلَةً على الطريق بإذن الله. فكِّروا معي في إجابة السؤال الأول، ولنتكلم في حلقة نقاش معًا، ولنبدأ بترتيب الجلوس:

- ما هي مهمتي في الحياة؟

صفاء: مش عارفة بالظبط، طب ممكن تخليني للآخر أكون فكرت!

ناهد: اممم.. أتجوز وأخلف. قالتها وهي تضحك ضحكة بلهاء.

حنان: أن أعبد الله.

لمياء: أكيد أشتغل وأفيد المجتمع اللي عايشة فيه.

ليلي: أربي أولادي، دي رسالتي في الحياه أكيد.

إبتسام: بصراحة عمري ما فكرت فيها كدة، هو يعني إيه مهمتي في الحياه؟ متهيألي مش بتتحسب كدة، يعني مش لازم يكون لي مهمة محددة.

سلمى: متهيألي ربنا خلقنا علشان نعمر الأرض، بس ازاي مش عارفة، لكن أنا مرة قرأت بوست على الفيس بوك بالمعنى دا.

- طيب نسأل السؤال التاني يمكن أسهل بالنسبه لكم:

- انتو عوزين إيه من الدنيا دي؟

صفاء: معرفش، معلش أنا مش عارفة أجاوب عن أي حاجة، اعذريني.

ناهد:عوزه إيه من الدنيا؟! عوزة كل حاجة، عوزه أتفسح واتبسط واصرف من غير ما اقلق من حاجة، عوزه أكون مبسوطة دايمًا. أيضا قالتها وهي تضحك ذات الضحكة العالية.

حنان: عوزه رضا ربنا وكفاية، آه ونفسي كمان ميكنش فيه مشاكل في حياه حد، معلش بيبقى من كتر اللي شفته.

لمياء: عوزه إيه دلوقت ولا عوزه إيه عمومًا؟ سألت ولم تنتظر الإجابة! هو الحقيقة أنا حاليًا مش عوزه من الدنيا غير طلب واحد، وح احتفظ بيه لنفسي لو مضايقش حد. قالتها وهي تنظر في عين ميرا والتي أومأت لها بالموافقة.

ليلي: مش عوزه أي حاجة من الدنيا غير إني أشوف أولادي في أحسن حال ومبسوطين.

إبتسام: مش عارفة برضه، مش عوزه حاجة. قالتها وهي تزوم بشفتيها باشمئزاز وترفع كتفيها إلى أعلى.

سلمى: عوزه إيه من الدنيا، عوزه حاجتين، عوزه ماما وأنَّا يكونوا دايمًا كويسين ومبسوطين، وعوزه ... سكتت سلمى ونظرت للأرض في استحياء.

فقالت لها ميراوقد استشعرت حرجها:

- لابـأس صغـيرتي، إن كنـتِ لا تودين الإفصـاح، لا بـأس، فقـط تذكـري مـا تريديـن وضعيـه في قلبـك حتـى يتحقـق.

والآن حبيبـاتي وأنـا أعنـي مـا أقـول، فيشـهد اللـه أني أحبكـم وأعلـم أنكـم تحبوننـي، أنـا لـن أجيـب لكـم ولـن أعطيكـم حصـة إنشـاء بهـا كلام منمـق، مـا فعلنـاه للتـوِّ هـو تحديـدًا مـا أريـد؛ أنـا لسـت مصلحـة اجتماعيـة ولا حلالـة مشـاكل، أنتـم مـن بأيديكـم سـتحلون كل مـا بكـم مـن ثغـرات ورواسـب، فهـي ليسـت بمشـاكل، هـي نتائـج أفعـال!

ولـكي نصـل إلى هـذه الحقيقـة يجـب أن نعلـم أننـا جميعًـا قـد ولدنـا عـلى الفطـرة وأننـا نحمـل مـن صفـات اللـه وروحـه بداخلنـا، مـن استشـعر مـن قبـل هـذا الإحسـاس؟ أننـا جـزء مـن اللـه، لم يخلقنـا في هـذه الدنيـا إلا ليسـعدنا (وَلكُـمْ فِي الأرضِ مُسْـتَقَرٌّ وَمَتَـاعٌ).

نحـن لا نعلـم الكثـير مـن الحقائـق، اللـه في سـماه قـد خلـق لنـا نحـن كل هـذا الكـون بـكل مـا فيـه مـن خـير وجـمال وقيـم وكنـوز، ونحـن بأيدينا أهملنـا الأمانـة ولم نسـتخدمها في محلهـا، ملأنـا قلوبنـا بآفـات وعاهـات وبعدنـا عـن الأصـل والهـدف، السـعاده قـرار يجـب أن نختـاره ونجعلـه مـن أولويـات حياتنـا، والحـب حيـاة يجـب أن نعيشـها في كل لحظـة، ولـكي نصـل إلى هـذا علينـا فعـل شيء تحديـدًا، إن لم نفعلـه باتـت حياتنـا مـآسي ومشـاكل لا تنتهـي؛ ألا وهـو:

فقـط أحبـوا أنفسـكم، نَعَـمْ.. (عليكـم أنفسـكم)، فـإذا أحببتـم أنفسـكم وقدرتموهـا حـق تقديـر، رضي اللـه عنكـم أولًا، وأحبكـم النـاس وقدروكـم، هـل سـمعتم هـذا المبـدأ مـن قبـل؟

هزَّ الجميع رأسه بالنفي! فأكملت ميرا:

- هـل جربتُـمْ أن تنظـروا في مرآياكـم صباحًـا، كل يـوم، مبـاشرةً في عيونكـم، مرددين: أنـتِ جميلـة، أنـا أحبـك، أنـا فقـط مـن سـأبقى معـك

إلى آخـر المشـوار، لا أحـد يحبـك مثـلي، أنـتِ تسـتحقين كل خـير وجـمال في هـذا العـالم، أنـتِ نفحـة اللـه وجـزء منـه، تسـتحقين السـعادة، فلنجلبهـا لأنفسـنا معًـا!

أنـتِ وروحـك متلازمتـان تسـتطيعان تحقيـق كل مـا تصبـوان إليـه وتتمنيـان، لكـن وأنـا معكـم مـن قبـلُ كنـا لا نعلـم أنَّ لهـذه الحيـاة معنـى وهدفًـا، وإن كنتـم تعلمـون مـا علمـت وتعلمـت لكانـت الدنيـا بالنسـبة لنـا أكـثر راحـةً وأجمـل كثـيرًا.

اليوم الأخير

كانت المجموعة كلها في غرفهم يجهزون الشنط استعدادًا للمغادرة، ولكن ماذا كان يدور بداخلهم؟ ماذا فعلت هذه الرحلة بهم؟ ما الذي اختلف؟ هم هم نفس الأشخاص، بنفس المشاكل، ما هذه الحالة من الهدوء النفسي والراحة التي تسكن جوانبهم؟ ما هذا الشعور الرائع وكأنهم بحارة قد عثروا على أرض جديدة ونزلوا بها؟

لم يتغير بهم شيء فعلي فهم هم منذ ثلاثة أيام حتى الآن، ولكنهم اختلفوا اختلافًا جذريًّا؛ ليست نفس الأرواح التي كانت تسكنهم، أرواحهم أصبحت أخف، غير مهتمة بتلك المشكلة أو هذه العادات التي تطبعت عليها غصبًا، رجعت لما كانت عليه منذ القدم، منذ بدء الخليقة؛ روح شفافة طاهرة لم تلوث، تحب الحياة وتواقة للسعادة، لا تقيِّم الغير ولا تنتظر تقييمًا من أحد.

لا تنظر إلى جسدها الفاني، سمين، رفيع، عجوز، شاب، جميل، مريض، لم يحمل أطفال، محمل بالعقد والنقائص،لا أملك وغيري عنده، لا أحد يرضى بحاله مهما كان، لا أحد ينظر بداخله فيرى الفطرة التي خلق عليها، تلوَّثَ من المواريث والمعتقدات والجهل، جَهلَهُ عندما اختار بنفسه أن يبعد عن الأصل والحقيقة التي خلُق لها وعليها.

نحن أصحاب الأرض، نحن من صلب آدم، وآدم خلق من نفحة من الرحمن، كم منا يحدث نفسه بهذا ويستشعره؟! حملنا بالخطايا جيلًا وراء جيل، وتوارى الأصل والحقائق وأصبحت الصوره التي رسمها الشيطان لنا هي الأصل، بَعُدنا عن المصدر، فاستحققنا ما وصلنا إليه بأيدينا.

وآن لنـا هنـا عـلى أرض دهـب أن نرجـع، يجـب أن نرجـع لنكتشـف ذواتنـا المنسـية في غيابـات الأزمنـة الملوثـة، وفي دهـب، لانهـا أرض اللـه التـي اختصهـا بسـماع صوتـه؛ فـما زال صـدى الصـوت وسـيظل يـتردد في أرجائهـا إلى يـوم الديـن، وصاحـب الصـوت أعلـم بمكانـه.

كلُّنا نستحقُّ السعادةَ

مع رغبةٍ دفينةٍ في عدم المغادرة والبقاء

هـي دهـب هكـذا، لا يرسـو أحـد بهـا إلا يتعلـق بهـا تعلُّـقَ الغريـق بعـودٍ خشـبيٍّ، هـي بـاب الحيـاة!

كيف بإرادتهم يخرجون من الحياة ... لـ.. حياة؟

في الصبـاح وعندمـا كان الجميـع يسـتعدون للمغـادرة ووضـع الشـنط في الأتوبيـس، ومشـاعر الحـزن مـن الرحيـل تكسـوهم جميعًـا، وأفـكار متضاربـة تعصـف بهـم، أحاسـيس جديـدة، وفـورة في الاسـتحقاق والحـب، نظـرة مختلفـة منهـم للحيـاة.

بالتأكيـد هـم الآن غـير مـا كانـوا عليـه منـذ الثلاث ليـالٍ الأخـيرة التـي مـرت عليهـم، هـل هـو سـحر المـكان؟ كلام مـيرا؟ البـشر في دهـب؟ كل الأماكـن والحاجـات؟ لا يعلمـون، ولكنهـا تركيبـةٌ غريبـةٌ وتجربـةٌ فريـدةٌ مـرُّوا بهـا، غـيَّرت فيهـم بالتأكيـد وفي كل معتقداتهـم السـابقة.

وفي وسـط كل هـذا وقفـت حنـان وسـطهم كأنهـا تُلقـي عليهـم بيـان الثـورة:

- يا جماعة عوزة أقولكم على مفاجأة؛ أنا مش راجعة معاكم.

كانت تتكلم ووجها ينبض بالحيوية والحياة.

- قصدك ح تقعدي كام يوم كمان لسه؟ سألتها لمياء في استغراب.

- لا.. أنا مش راجعة القاهره تاني.

شهقت السيدات ما بين إعجاب ومعارض لمن يعرفونها جيدًا.

- إزاي يـا حنـان؟ وأخـوكِ والصفحـة الـلي انتـي مسـئولة عنهـا، وحياتـك كلهـا؟ سـألتها ليـلى في اسـتنكار عجيـب!

- إيـه الصفحـة؟ فيـه غـيري كتـير يقـدروا يتابعوهـا، وأحمـد أخويـا يقـدر ييجـي يشـوفني هنـا ويطمـن عـليَّ، وأي حيـاة الـلي بتتكلمـي عنهـا؟ هنـا كل الحيـاة.

- أيـوه يـا بنتـي يعنـي ح تعمـلي إيـه هنـا يعنـي؟ وح تعيـشي فـين وإزاي؟ ومـين الـلي يوافـق عـلى كـده؟

- ح أعيـش هنـا عنـد مـيرا، أنـا اتكلمـت معاهـا امبـارح بالليـل، ح اشـتغل وألاقـي نفـسي الـلي ضايعـة منـي مـن أكـتر مـن أربعـين سـنة.

- ومين يوافق ؟

- معتقدش إني مستنية حد يوافق، أنا حرة نفسي متهيألي، وكفايه بقى خوف من الناس وكلامهم ورأيهم، احنا اللي شاغلين نفسنا بالتابوه بتاع التقييم ده، وده كان أول درس من ميرا لينا، احنا اللي ح نسعد نفسنا بنفسنا، مش مستنيين السعاده من حد، أنا اخترت نفسي واخترت إني أسعدها، والعمر اللي جاي مش ح يكون أد اللي راح.

الأفكار كتير، ممكن أفتح حضانة، انتي عارفه أنا بحب الأولاد أد إيه، ممكن أعمل محل صغير حلويات، وانتي طول عمرك بتقولي حلوياتي تجنن، ممكن أعمل وأعمل بس المهم القرار، وأنا أخدت القرار.

قبَّلوها وهم يتمنون لها السعادة والنجاح، ويتمنون أن يأخذو قرارهم مثلها.

احتضنتهم ميرا حضنًا يطمئن ويحتوي بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ودعتهم للحضور في أي وقت يشاؤون، وأمسكت حنان من يديها وهم يدخلون إلى الفندق موجهةً حديثها إلى خليل:

- الجروب اللي جاي بكره مين؟

- أعضاء هيئه التدريس من جامعة القاهرة قسم فلسفة.

أجابها خليل على الفور.

وابتسمت حنان، فقد علمت أنها قد اختارت السعادة وأنها قادمة إليها لا محالة.

النهاية

منار حجازي

-٢٠١٧-١٠-١٧

شكر خاص

من شكر الناس فقد شكر الله تعالى..

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، لولا فَضْلُ الله تعالى عليَّ ما أتممتُ هذا الكتاب الثاني لي.

ولولا مجهود هؤلاء وتعبهم معي ما ظهر الكتاب للنور، فالشكر للجميع وأخصُّ بالشكر:

عائلتي:

هشام فؤاد زوجي.

مريم هشام ابنتي الكبرى، ومستشارتي، والكاتبة القادمة بقوة.

سلمى هشام ابنتي الوسطى، ملهمتي وصديقتي الجميلة.

عمر هشام ابني الصغير، الذي أخذت من وقته الكثيرَ لأُنجزَ كتاباتي.

أختي الكبيرة السيدة/ نجوى حجازي، وأخي الدكتور/ عمرو حجازي.

صديقتيَّ المُقَرَّبتين إليَّ واللتين أرهقتهما بشدة: الصحفية/ آلاء فتحي، والجميلة/ ماجدة مندوه.

دكتوري وصديقي العزيز، وصاحب اكتشاف موهبتي في الكتابة الأول دكتور/ مصطفى العسيلي.

أصدقائي من الكُتَّاب؛ أصحاب الاستشارات العميقة: عمرو مرزوق الكاتب الكبير، ولمياء السعيد كاتبة الرعب الأولى في مصر، والكاتبة الجميلة/ ناهد كرارة، والكاتبة المبدعة/ مي زيادة، والكاتب الكبير/ عبد الباسط بويض، والكاتب/ محمد رضوان نائب رئيس اتحاد الناشرين بالإسكندرية، والكاتب السكندري/ أحمد دسوقي.

وأصدقائي الأعزاء، وأول من قدموني إلى دهب وحبَّبوني فيها: إيهاب فؤاد وخالد يسري وعلي أبو العينين وعمر الشامي، وكل أهل دهب الطيبين.

قارئاتي الأوليات: المحامية/ إيناس عبد الحميد، والرياضية الجميلة/ سالي يحيي، والرسامة المبدعة/ نيهاد الشمبكي، والأستاذ المهندس/ مصطفى طارق، والأستاذ/خالد السمالوطي والذي ساعدني بشكل كبير في إخراج الرواية.

ودار أطلس للنشر والتوزيع، أول من آمنوا بموهبتي وساندوني وساعدوني بكل الطرق.

وإلى كل أهلي وأصدقائي وجيراني وأحبائي

شكرًا جزيلًا لكم جميعًا

لولاكم ما كنتُ منار الكاتبة، ولولاكم ما خرجت رواياتي إلى النور.

شكرًا للجميع.